صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب



ٹائیٹل پیج بار اول

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا اِنَّ الَّذِيْنَ يُبَايِعُوْنَكَ اِنَّمَا يُبَايِعُوْنَ اللّٰهَ يَدُ اللّٰهِ فَوْقَ اَيْدِيْهِمْ

رسالہ آسمانی ٹیکا جو طاعون کے بارے میں اپنی جماعت کیلئے تیار کیا گیا

کشتی نوح

اور دوسرا نام

دعوت الایمان

اور تیسرا نام

تقویۃ الایمان

ارْكَبُوْا فِيْهَا بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرٖىهَا وَمُرْسٰىهَا لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ اِلَّا مَنْ رَّحِمَ

۵ اکتوبر ۱۹۰۲ء

مطبع ضیاء الاسلام ... حکیم فضل دین صاحب بھیروی کے اہتمام ...

تعداد جلد ۵۰۰

شائع ہوا

ترجمة النصوص الواردة

في صفحة غلاف الطبعة الأولى

....

اصنع الفُلْكَ بأعيننا ووحينا. إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللهَ يدُ الله فوق أيديهم.

هذا ما أوحى الله إليّ على شاكلة آيات قرآنية، وقد سبق نشره في "الإعلان الأخضر".

كتيب "المصْل السماوي" الذي أُعِدَّ لجماعتي بشأن الطاعون

"سفينة نوح"

واسمه الثاني

"دعوة الإيمان"

واسمه الثالث

"تقوية الإيمان"

قلبي منفطرٌ حزنًا على الناس بسبب هذا الطاعون، فهو ليس بطاعون
بل هو طوفان عظيم
تعال واركبْ سفينتنا بسرعة، فإنّ سفينتنا هذه من ذلك الرب العليم
(ترجمة بيتين فارسيين)

﴿ما يفعلُ الله بعذابكم إنْ شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرًا عليمًا﴾
(النساء: ١٤٨)
﴿اركَبوا فيها بسمِ الله مَجريها ومُرساها﴾(هود: ٤٢)
﴿لا عاصمَ اليومَ مِن أمر الله إلا مَن رَحِمَ﴾(هود ٤٤)

١٩٠٢-١٠-٥

طُبع في مطبعة "ضياء الإسلام" بقاديان تحت إشراف حكيم فضل دين البهيروي ونُشر لهداية وتعليم أبناء جماعتي وطالبي الحق
عدد النسخ ٥٠٠٠

الفهرس

كتيب

ســفيــنة نــوح

تقوية الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مَصْلُ الطاعون

﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١]

إنه لمن دواعي الشكر أن الحكومة الإنجليزية الموقرة اقترحتْ مرة أخرى مشروعَ التطعيم إشفاقًا منها على الرعيّة وإنقاذًا لهم من عدوى الطاعون، وحملت على كاهلها عبئًا ثقيلاً من ملايين الروبيات من

[١] التوبة: ٥١

أجل راحة عباد الله. إنه لعمري مشروع يجب أن تستقبله الرعية العاقلة بعاطفة الامتنان، والذي يسيء الظن في أمر التلقيح فهو جاهلٌ جدًّا وعدوّ لنفسه. ولقد عَهِدنا هذه الحكومةَ الحريصة لا تطلب من الناس اتخاذ علاج يحمل في طيّاته خطرًا، بل إنها لا تقدِّم في مثل هذه الحالات إلا ما ثبتتْ فائدتُه بعد تجارب كثيرة، لذا فإنه لمما يتنافى مع اللباقة والإنسانية أن تُكافأ عاطفةُ حبِّ الخير الصادقة - التي بعثت الحكومةَ فبذلت ولا تزال تبذل مئات الألوف من النقود- بالقول بأن لها غرضًا مشبوهًا من وراء كل هذا التعب والإنفاق. شقيّةٌ الرعيّةُ التي يبلغ منها الظنُّ السيئ هذا المبلغ. لا ريب أن أعظم وأفضل ما استطاعت هذه الحكومة تدبيره في عالم الأسباب حتى الآن هو هذا المَصْل، ولا ريب أن التجارب قد أثبتت نفْعَ هذا التدبير، فبمقتضى مراعاة الأسباب يجب على الناس كافةً أن يستجيبوا لهذا التدبير ويريحوا الحكومة الموقرة من الهمّ الذي تعانيه مِن أجل سلامة نفوسهم.

بيد أننا نعتذر إلى الحكومة المحسنة بكل احترام قائلين بأنه لو لم يكن لنا مانع سماوي لكُنّا أول المتطعّمين بمصل الطاعون من بين الرعايا. أما المانع السماوي فهو أن الله تعالى أراد أن يُري الناسَ في هذا الزمان **آيةً من آيات الرحمة السماوية،** فخاطبني قائلا: أنت وكل من كان في دارك ومَن تفانى فيك بكامل الاتباع والطاعة وبخالص التقوى ستُحفظون من الطاعون، ويكون ذلك آيةً من الله في هذه الأيام

الأخيرة؛ كي يحكم بين شتى الطوائف، لكن الذي لا يتّبعك اتباعًا كاملا فإنه ليس منك، **فلا تأسَ عليه. إن هذا أمر إلهي**، وبموجبه لسنا ولا الذين يسكنون في حظيرة دارنا بحاجة إلى التلقيح، فقد بيّنتُ آنفًا أن الله -الذي هو ربّ السماوات والأرض، وقد أحاط بكل شيء علمًا وسلطانًا- قد أوحى إليّ قبل زمن قائلا: إنني سأحافظ كلّ مَن كان بين جدران هذه الدار مِن ميتة الطاعون بشرط أن **ينخرط في سلك المبايعة بكل إخلاص وطاعة وتواضع** متخلّيًا عن جميع النيّات السيئة، وألا يتصرف إزاءَ أحكام الله وأمام مأموره هذا **بتكبّرٍ** وتمرّدٍ وأنانيةٍ وتهاوُنٍ وعنادٍ وعُجْبٍ بشكل من الأشكال، بل لا بد له مِن أن يعمل بتعاليمه.

وفوق ذلك قال لي مخاطبًا: لن يغشى قاديانَ الطاعونُ الجارف المبيد بصفة عامة بحيث يموت الناس منه كالكلاب، ويُجنّون من وطأة الهمّ والتشرد، وأن جميع أفراد هذه الجماعة -مهما يكن عددهم- سيسلمون من الطاعون بصفة عامة مقارنةً مع أعدائهم، اللهم إلا أولئك الذين لم يرعوا عهدهم حق الرعاية، أو الذين بشأنهم سببٌ خفي في علم الله تعالى، فهؤلاء يمكن أن يتعرضوا للطاعون. بيد أن الناس سيعترفون متعجبين في آخر الأمر بأن عناية الله مع هذه الفئة مقارنة مع الآخرين، وأنه تعالى قد حفظ هذه الفئة برحمته الخاصة حفظًا لا نظير له في الآخرين.

سيصاب بعض الجهال بالدهشة من هذه النبوءة، وسيسخر منها بعضهم، وسيرميني بعضهم بالجنون، وبعضهم سيحتار ويُذهل بالاطلاع على وجود إلهٍ يستطيع أن يرحم العباد من دون مراعاة الأسباب! وجوابه نعم، لا ريب في أنّ هذا الإله القدير لموجود، وإلا لمات أولياؤه وهم أحياء. إنه لعجيبٌ ذلك القادر وعجيبةٌ قدراته المقدسة! إنه يسلّط على أوليائه أعداءهم السفهاء كالكلاب مِن جهة، ومن جهة أخرى يأمر الملائكة بخدمتهم، وكذلك حين يثور غضبه على الدنيا ويفور سخطه على الظالمين، فإن عينه تحرس عباده المقربين، ولولا ذلك لانهدَّ بنيانُ أهل الحق من قواعده، ولما استطاع أحد إلى معرفتهم سبيلاً.

ألا إن مظاهر قدرته لا تُعدّ ولا تحصى، بيد أنها لا تظهر للناس إلا على قدر إيمانهم ويقينهم. فإن الذين أُعطوا اليقينَ والمحبة والانقطاع إليه تعالى وانسلخوا من عاداتهم النفسانية، فأولئك الذين تظهر لهم قدراتُه خارقةً للعادة. إن الله يفعل ما يشاء، غير أنه لا يريد أن يتجلى بقدراته الخارقة للعادة إلا لأولئك الذين يخرقون عاداتهم له ﷻ. قليلون جدًّا هُم الذين يعرفونه ويؤمنون بعجائب قدراته في زمننا هذا، وكثيرون جدًّا هُم الذين لا يؤمنون مطلقًا بالله القدير الذي يُصغي إلى صوته كلُّ ما في الكون، ولا يُعجزه شيء.

ولا يغيبنّ عن البال هنا أَن التداوي عند إصابة الطاعون وغيره من الأمراض ليس إثمًا، بل قد ورد في حديث النبي ﷺ أنه ما من داء إلاّ وقد خلق الله له دواءً، غير أني أرى من المعصية أن أُلبّس -بأخذ مصْل الطاعون- هذه الآيةَ الإلهية التي يريد ﷻ أن يُظهرها لنا في الأرض بجلاء، فلا أُحِبُّ اللجوء إلى المصل لأُسيء به إلى آية الله الحقة ووعْده الحق، ولئن فعلتُه لارتكبت ذنبًا لا يُغتفر لكوني لم أؤمن بما وعَدَني به ربي، وفي هذه الحالة ينبغي أن أسدي الشكر إلى الطبيب الذي أوجد هذا المصل بدلاً مِن أنْ أكون شاكرًا لله الذي عاهدني بحفظ كلّ مَن كان في داري. أقول ببصيرة تامة إن وعود ذلك الإله القادر لَصادقةٌ، وإني لأرى الأيام آتية وكأنها قد أتت.

كما أعلم أيضًا أن الهدف الأساس لحكومتنا العالية من التطعيم هو إنقاذ الناس من الطاعون بأية وسيلة، وإنها لو عثرتْ يومًا على تدبير هو أوفى بالغرض المطلوب من هذا المصل فسوف تتقبّله عن طيب خاطر، مما يبين جليًّا أن الطريق الذي سيّرني الله فيه لا ينافي مقاصد الحكومة قطعًا.

والخبر عن تفشي بلاء الطاعون العظيم هذا لموجودٌ كنبوءة منذ عشرين سنة من هذا اليوم في كتابي "البراهين الأحمدية"، متضمنًا وعدَ بركاتٍ تخصّ هذه الجماعةَ (انظروا البراهين الأحمدية الصفحة ٥١٨ و٥١٩). وفوق ذلك فقد نبّأ الله بكل قوة بأنه سينجّي من بلاء

الطاعون كلَّ من كان في داري مِن المخلصين الذين لا يتكبرون على الله ولا على مبعوثه، وأنه تعالى سيشملهم بفضله الخاص مقارنةً مع الآخرين، إلا أنه من الممكن أن يصاب البعض منهم لضعف في إيمانه أو نقصٍ في عمله أو مِن جراء الأجل المقدّر أو لأي سببٍ آخر لا يعلمه إلا الله. والشاذ كالمعدوم؛ لأن الحكم يُبنى على الأكثرية عند المقارنة. وكما أن الحكومة قد تحقَّقت بالتجربة أن المحقونين بمصل الطاعون لا يموتون إلا قليلاً مقارنةً مع غير المحقونين، لأن حالات الموت القليلة الشاذة لا تنقص من قدر المصْل، كذلك لو حصلت في قاديان إصاباتٌ أقلّ مما يحصل في غيرها من القرى والمدن، أو مات أحد من أفراد هذه الجماعة بالطاعون على سبيل الندرة، فلن يحطّ ذلك من مكانة هذه الآية العليا أبدًا.

لقد نشرتُ هذه النبوءة بناءً على ما تبيّنَ لي من كلام الله المقدّس، فليس من شأن العاقل اللبيب أن يستهزئ بأمور السماء قبل وقوعها. إنه لقول الله وليس بقول كاهن، وإنه لمِن عين النور وليس رجمًا من غياهب الظلام. إنه لكلامُ ذلك الإله الذي أنزل الطاعون ويستطيع أن يدفعه. ولا شك أن حكومتنا ستقدِّر هذه النبوءة حق قدرها حين تلاحظ وقوع أمر مذهل وهو أن **أبناء هذه الجماعة قد صاروا بالفعل أكثرَ عافية وصحة** من المحقونين. وإنني أقول بكل صدق بأنه إذا لم

تتحققْ هذه النبوءة التي لا تزال تُنشر بين الناس منذ عشرين عاما ونيف، فلستُ من الله تعالى.

علامات مجيء المسيح الموعود

سيكون من الآيات الدالة على أني من عند الله تعالى أن المخلصين المقيمين بين جدران داري سيسلمون من الموت بهذا الوباء، وأن جماعتي كلها ستكون أكثرَ أمنًا من هجمة الطاعون من غيرهم، وأن السلام الذي سيشمل هؤلاء لن يكون له نظير في فئة من الفئات، وأنّ آفة الطاعون المروّع الفتّاك لن تحلّ بقاديان إلا ما شذّ وندر. **فيا ليت** هؤلاء الناس كانوا سليمي القلوب وخاشعين لله تعالى، فيُنجَوا من العذاب تمامًا، ذلك أن العذاب لا ينزل على أحد في الدنيا بسبب الاختلاف في الدين، إذ العقاب على هذا يوم القيامة، وإنما يعذَّب الناس في الدنيا على شرورهم وتجاسُرهم وكثرة ذنوبهم.

وجديرٌ بالذِكر هنا أنّ نبوءة تفشّي الطاعون في زمن المسيح الموعود موجودة في القرآن المجيد، بل في بعض صحف التوراة[٢] أيضًا، حتى إن المسيح عليه السلام نفسه قد أخبر بذلك في الإنجيل، ومن المحال أن تخطئ نبوءات الأنبياء.

---

[٢] راجعْ سِفْر زكريا ١٤:١٢، وإنجيل متى ٢٤:٨، ورؤيا يوحنا اللاهوتي ٢٢:٨. *منه.*

واعلموا أنه لا مناص لنا من تجنُّب التدابير البشرية إزاءَ هذا الوعد الرباني كي لا يعزو العدوُّ آيةَ الله هذه إلى سبب آخر. غير أن الله تعالى لو كشف لنا بكلامه -إضافةً إلى هذه النبوءة- تدبيرًا أو أخبرَنا بدواء، فهذا التدبير أو الدواء لا يتنافى مع عظمة هذه الآية شيئًا؛ لأنه من عند الله الذي منه تلك الآية.

ولا يتوهمنّ أحد أنه إذا مات البعض من جماعتنا بالطاعون على سبيل الشذوذ والندرة، فإن ذلك سيحطّ من قدر الآية وعظمتها. كلا، إذ قد أُمر **موسى** ويشوع في الأزمنة الخالية وأخيرًا **نبيُّنا** ﷺ بأن يَقتلوا بالسيف أولئك الذين جرّدوا السيف وأهرقوا دماء ألوف من البشر، وكان ذلك آيةً من الأنبياء أعقبَها فتح عظيم، مع أن بعضًا من أهل الحق هم الآخرون كانوا يُقتَلون بسيوف المجرمين، لكن كان عددهم قليلا جدًّا، وهذا القدر القليل من الخسارة لا ينال من عظمة هذه الآية شيئًا. كذلك فلو أصيبَ بعض من جماعتنا بالطاعون لسبب من الأسباب المذكورة، فلن يقدح ذلك في هذه الآية الإلهية شيئًا. أوليس من الآيات العظيمة أنني أقول مرة بعد أخرى إن الله تعالى سيحقّق هذه النبوءة بما لن يبقى بعده أي ريب لكل طالب حق، بل سيدرك أن الله تعالى يعامل هذه الجماعة بطريق إعجازي، بل ستكون من نتائج هذه الآية الربانية أن هذه الجماعة ستزداد بسبب الطاعون زيادة عظيمة، وتزدهر بشكل خارق يذهل الناس. أما إذا لم يميّز الله بين هذه الجماعة وغيرها من

الجماعات وفقًا لهذه النبوءة، فيحقّ للمخالفين -الذين يُهزمون في كل مرة كما كتبتُ في كتاب "نزول المسيح"- أن يكذّبوني. أما ما سبق من تكذيبهم لي حتى الآن فإنهم لم يشتروا به إلا لعنة؛ فمثلا قد أثاروا ضجّة مرة بعد أخرى بأن "آتهم"[٣] لم يمتْ في الخمسة عشر شهرًا! مع أنه مكتوب في تلك النبوءة صراحةً بأن "آتهم" لن يموت في الخمسة عشر شهرًا إذا رجع إلى الحق، والحقُّ أنه كان قد رجع عن وصفه نبيَّنا ﷺ **بالدجال** في جلسة المناظرة نفسها بين يدي سبعين من الكرام، وليس ذلك فحسب، بل قد أكّد توبتَه حيث ظل صامتًا وخائفًا الخمسة عشر شهرًا، ولم يكن أساس هذا الوعيد إلا وصْفه نبيَّنا ﷺ بالدجّال. غير أنه لم يستفِد من رجوعه إلا في تأجيل موته خمسة عشر شهرًا، ثم مات أخيرًا. وقد حصل ذلك لأن النبوءة كانت تقول إن الكاذب في عقيدته من الفريقين سيموت أولاً، فمات هو قبلي.

وكذلك فإن أنباء الغيب التي كشفها الله عليّ وتحققتْ في ميقاتها، لا تقلّ عن عشرة آلاف نبأ، غير أنه لم يُذكرْ منها في كتاب "نزول المسيح" الذي هو قيد الطبع إلا مائة وخمسون نموذجًا فقط مع الأدلة والشهود. فما مِن نبوءة من نبوءاتي إلا وتحقّقت أو تحقّق أحد جزءيها على الأقل، ولن يعثر أحد على أي نبوءة خرجتْ من فمي يستطيع

[٣] "آتهم" كان أحد القسيسين الطاعنين في رسولنا ﷺ، وقد جاءت تفاصيل تحقُّق النبوءة المتعلقة بموته في كتاب "أنجام آتهم" أي "عاقبة آتهم". (من المترجم)

القول إنها أخطأتْ ولو مات بحثًا عنها؛ أما إذا كان أحد لا يستحي أو كان يجهل فليقلْ ما شاء. وأقول بكل تحدٍّ إن آلافًا من نبوءاتي الواضحة قد تحققتْ بكل جلاء، ويشهد لها مئات الآلاف من الناس، وإن تحرّيتم نظيرها عند النبيين السابقين فلن تجدوه إلا عند نبيّنا ﷺ. ولو أن أعدائي أرادوا فصل الأمر بهذا الطريق لأبصروا الحقيقة منذ زمن! وكنت مستعدًّا لأن أُجزل لهم الجائزة لو أتوا بنظير لنبوءاتي هذه. أما أن يقولوا من جرّاء شرٍّ أو حماقةٍ بأن النبوءة الفلانية لم تتحقّق، فما الحيلة -يا ترى- سوى أن نعتبر قولهم هذا خبثًا منهم وسوءَ ظن؟ ولو أنهم ناقشوا هذا الأمر في جمعٍ من الناس لاضطروا إلى الرجوع عن قولهم أو وُصفوا بالوقاحة. فأنْ تتحقّق آلاف النبوءات تحققًا كاملا وأن يوجد آلاف من الشهود الأحياء عليها، لأمرٌ لا يستهان به، بل هو لعمري بمثابة إراءة الله رؤيةَ عين! يا تُرى، هل حصل في زمن من الأزمان -غير زمن البعثة النبوية- أن أُدليتْ آلاف النبوءات ثم تحققت برمّتها بوضوح كوضوح النهار، وشهد على تحقّقها آلاف البشر.

إني لأعلم يقينًا أن الله تعالى قد بدأ يتجلّى في هذا العصر، ويكشف لعبده مئات من أمور الغيب، بما لا يوجد له مثيل في العصور الغابرة إلا قليلا. وسوف يرى الناس أن وجهَ الله قد ظهر في هذا الزمن وكأنه تعالى قد نزل من السماء. لقد أخفى نفسه مدة طويلة وظلّ صامتًا على إنكار الناس له، أما الآن فلن يخفي نفسه، وسيشهد العالَمُ مِن مظاهر

قدرته ما لم يشهده آباؤهم وأجدادهم قط، ذلك أنّ الأرض فسدت، ولم يعُد الناس مؤمنين بخالق السماوات والأرض. ذِكرُه جارٍ على الشفاه، أما القلوب فمعرضةٌ عنه، ولذلك قال سبحانه: سأخلق الآن سماءً جديدة وأرضًا جديدة. إنما المراد من ذلك أن الأرض أصبحتْ ميتةً؛ أي أن قلوب أهلها قد قست وكأنها قد ماتت، لأن وجه الله قد اختفى عنهم وأصبحت الآيات السماوية السابقة كلها قِصصًا وأساطير؛ فأراد الله تعالى أن يخلق أرضًا جديدة وسماءً جديدة. فما هي تلك السماء الجديدة؟ وما هي تلك الأرض الجديدة؟ ألا إن الأرض الجديدة هي تلك القلوب النقيّة التي يهيّئها الله بيديه، **وقد ظهرتْ من عند الله، واللهُ سيظهر منها**. أما السماء الجديدة فهي تلك الآيات التي تتجلى بإذنه على يد عبده.

فيا أسفا على الدنيا التي قابلتْ هذا التجلّي الإلهي الجديد بعداء! ليس بأيديهم سوى القصص، وليس إلههم إلا تصوراتهم. القلوب زائغة، والهممُ كليلة، وعلى الأبصار غشاوة. دَعْك عن الملل الأخرى التي فقدت الإله الحقيقي بنفسها إذ اتخذوا البشر آلهةً، وانظرْ إلى حال المسلمين، فكم ابتعدوا عن الله عز وجل! فقد باتوا ألدَّ أعداءِ الحق، ويخالفون الصراط المستقيم كعدوّ متعطش للدم. فعلى سبيل المثال، إن

"**ندوة العلماء**"[٤] التي تدّعي النصح للإسلام، و"**منظمة حماية الإسلام**" بلاهور التي تأخذ أموال المسلمين باسم الإسلام؛ أَتراهم ناصحين للإسلام؟ أَهُم **حماة** الصراط المستقيم؟ أيذكرون المصائب التي قد داست الإسلام؟ وهل يعرفون سنّة الله في **التجديد**؟ أقول والحق أقول: إن دعاوي هؤلاء القوم بحماية الإسلام كانت مقبولة بعض الشيء لو لم أكنْ قد أتيتُ، أما الآن فقد **قامت عليهم حجة الله**، إذ أصبحوا أول كافر **بكوكب ظهر في السماء بعد أن كانوا يدّعون أنهم حُماة الدين**. فما هو جوابهم الآن عند الله الذي بعثني في الميعاد تمامًا؟ لكنهم لا يبالون بذلك شيئًا.

لقد دنت **الشمسُ** الظهيرةَ وهم يظنون أن **الليل لا يزال مخيما** حتى الآن. **لقد تفجَّرَ ينبوع الله وهم** ما فتئوا ينوحون في البيداء! إن نهرًا من **علومه السماوية** يجري، لكن لا علم لهم بذلك. إنَّ آياته تظهر، وهم عنها غافلون، وليسوا بغافلين فحسب، بل **يناصبون حزب الله العداءَ**. هذه هي حماية الإسلام ونشر تعليمه التي تتم على أيديهم. ولكن **هل يقدر هؤلاء بإعراضِهم هذا أن يحولوا دون مشيئة الله الحقة** التي ما

---

[٤] "ندوة العلماء" و"منظمة حماية الإسلام" جمعيتان إسلاميتان كانتا بالهند، أُولاهما في لكهناو والثانية في لاهور. (من المترجم)

زال جميع الأنبياء يشهدون عليها منذ البداية؟ كلاّ بل **يوشك** أن تتحقق النبوءة الربانية القائلة: ﴿كَتَبَ اللهُ لأغلِبَنَّ أنا ورُسُلي﴾[٥].

وكما أن الله تعالى قد كسف الشمس وخسف القمر في السماء قبل عشر سنوات في شهر رمضان تصديقًا لعبده هــذا، وأرى **آيــتين** في السماء حين جعَل **نيّرَ الليلِ ونيّرَ النهارِ** شاهدين على صدقي، كذلك قد أظهر في الأرض آيتين وفقًا لنبوءة الأنبياء.. إحــداهما تقرأُونهــا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَت﴾[٦]، وفي الحــديث الشريف كالآتي: "وَلَتُتْرَكَنَّ القِلاصُ فلا يُسعَى عليها"، وتحقيقًــا لهــذه النبوءة يُمَدّ الخطّ الحديدي بين المدينة ومكة في أرض الحجاز. والآيــة الأخرى هي الطاعون، حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْــنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾[٧]. فها قد ســيّر الله في الــبلاد القطار وأرسل الطاعون أيضًا، لتكون الأرض شــاهدة كمــا كانــت السماء شاهدة. **فلا تحاربوا** الله تعالى، فإن محاربته سفاهة.

عندما أراد الله ﷻ استخلافَ آدم من قبل اعترضَ عليه الملائكة، فهل امتنع الله عن استخلافه لقولهم؟ والآن قال الله تعالى عند خلق **آدم الثاني**:

---

[٥] المجادلة : ٢٢

[٦] التكوير: ٥

[٧] الإسراء: ٥٩

"أردتُ أن أستخلِف فخلقتُ آدمَ"[٨]، فهل تستطيعون رَدَّ مشيئة الله الآن؟ فلماذا تقدّمون الظنون الفاسدة ولا تختارون سبيل اليقين؟ ألا لا تُلقوا بأنفسكم في الابتلاء، واعلموا يقينًا أنْ لا رادَّ لمشيئة الله. اعلموا أن هذه الخصومات ليست سبيل التقوى. أمّا إذا كنتم في شكّ من أمري، فالطريق لإزالته -مثلاً- أن تلتمسوا من الله بشارة النجاة لأشياعكم من الطاعون إنْ كنتم ناصحين لهم، وذلك كما فعلتُ أنا إذ تلقيتُ في وحي الله بشارة بنجاة جماعة من الناس الذين يطيعون أوامري مِن عذاب الطاعون، ثم انشروا هذه البشرى بين الناس، كما نشرتُها أنا بالإعلانات المطبوعة، حتى يعلم الناس أن الله معكم. بل إنها لفرصةٌ سانحة للمسيحيين أيضا، فإنهم يقولون دائمًا إن النجاة موكولة بالمسيح؛ فوجب عليهم أيضًا أن ينقذوا إخوانهم المسيحيين من الطاعون في أيام المصيبة هذه. **والطائفة التي تكون أكثر استجابة عند الله تعالى تكون هي المقبولة عنده بين هذه الطوائف كلِّها**. لقد أتاح الله تعالى الآن الفرصة لكلّ حزب، وذلك كيلا يتجادلوا في الأرض عبثًا، بل يبرهنوا على أنهم أقرب إلى الله زلفى مِن غيرهم، فيأمنوا الطاعون من جهة، ويتجلى صدقهم من جهة أخرى. وأخُصّ بالخطاب **القساوسةَ** الذين قد اعتبروا **المسيح بن مريم** هو المنجّي في الدنيا والآخرة، فإذا كانوا يؤمنون من الصميم بأن ابن مريم هو مالِكُ

---

[٨] هذا مما أوحى الله إلى المسيح الموعود عليه السلام. (من المترجم)

الدنيا والآخرة، فمِن **حق النصارى** الآن أن يشاهدوا نموذج **النجاة** ببركة **كفّارته وفدائه،** فإن ذلك سيوفّر على الحكومة الموقرة عناءً كثيرًا أيضا. فينبغي على الطوائف المختلفة -الموجودة في الهند البريطانية- التي تؤمن بصدق ديانتها أن تتخذ هذه الوسيلة لاستنقاذ أتباعها من الطاعون، أعني أن تشفع كل طائفة منها من أجل أتباعها المنكوبين عند إلهها الذي تؤمن به أو عند أي معبود آخر اتخذتْه إلهًا من دون الله، فتأخذ منه وعدًا موثّقًا بنجاتهم وتنشره بالإعلانات كما نشرنا نحن بهذا الإعلان، فإنّ هذا سيكون خيرًا محضًا للخَلْق، وسيمثّل برهانًا بيّنًا على صدق دينها، وعونًا للحكومة أيضا. ما الذي تبغيه الحكومة غير أن تتخلص رعيتها من مصيبة الطاعون بأيّ طريق كان؟

وأخيرًا يجب ألا يغيبنَّ عن البال أننا بهذا الإعلان لا نمنع مِن التطعيم جميع أفراد جماعتنا المنتشرة في شتى أنحاء البنجاب وأقاليم الهند، بل يجب أن يأخذ التطعيمَ كلُّ أولئك الذين قد أمرتْهم الحكومة بالتطعيم أمرًا قطعيا وعليهم أن يطيعوا أوامرها، أما الذين خُيِّروا في الأمر، فإن كانوا ممن لا يعملون حقًّا بتعليمنا الذي أَوْصينا به، فالأجدر بهم أيضًا أن يأخذوا التطعيم، لكي لا يتعثروا ولا يسبّبوا بحالتهم الفاسدة فتنةً للناس في وعد الله هذا.

أما السؤال: ما هو ذلك التعليم الذي إذا التزم به المرء حقًا نجا من بطش الطاعون، فها أنا ذا أكتبه بإيجاز فيما يلي.

التعليم

فليكنْ واضحًا أن إقرار البيعة باللسان وحده لا يعني شيئًا ما لم يكن معه العمل الوافي بعزيمة القلب، لذلك فمَن اتّبع تعليمي حقّ الاتّباع فقد دخل في داري تلك التي سبق الوعد عنها في قول الله تعالى: "إنّي أُحافظ كلَّ مَن في الدار".. أي سأحمي كلَّ من يدخل حظيرةَ دارك. وينبغي ألاّ يُفهم من ذلك أنّ الداخلين في داري هم الساكنون في بيتي المادي فقط، كلا بل إن جميع أولئك الذين يتّبعونني اتباعًا كاملا هم الآخرون داخلون في داري الروحانية.

أما الأمور الواجبة الاتّباع فهي أن يوقنوا بأن لهم إلهًا قادرًا قيّومًا خالِقَ كل شيء، أزليًا أبديًا لا يتغير في صفاته، لم يلد ولم يولد، وهو منزه عن أن يتعرّض للألم أو الصلب والموت. إنه قريب على بُعدِه، وبعيدٌ مع قربه، وله تجلّياتٌ شتّى مع كونه الواحد الأحد. عندما يظهر من الإنسان تبدّلٌ جديدٌ يصير ﷻ له إلهًا جديدًا ويعامله بتجلٍّ جديد، ويَرى الإنسانُ على قدر تبدّلِه تبدّلاً في الله أيضًا. ولا يعني ذلك أنّ تغيّرًا ما يطرأ على الله تعالى، كلاّ، بل إنه غير متغير منذ الأزل وله الكمال التامّ، لكن عندما يحدث لدى الإنسان تغيّر ويميل إلى الخير، يظهر الله له أيضًا بتجلٍّ جديد، وكلما تطورت حالة الإنسان، ظهرت له جلوةُ

قدرتِه تعالى بمزيد من الجلاء. إنه ﷻ لا يُري قدرتَه الخارقـــةَ إلا لمـــن يحصل منه التبدل الخارق للعادة، وهذا هو أصل الخوارق والمعجـــزات. هذا هو الإله الذي هو شرطُ جماعتنا، فآمِنوا به وآثِروه على أنفـــسكم وعلى راحتكم وجميع علاقاتكم، وتحلّوا في سبيله بالصدق والإخـــلاص بكل شجاعة عمليًا. الدنيا لا تؤْثره على أسبابها وأعزّائها، أمـــا أنـــتم فآثِروه لتُكتَبوا مِن جماعته في السماء. إن إراءة آيات الرحمة سنّة ربّانيّـــة منذ القِدم، غير أنكم لا تستطيعون أن تحظوا بنصيب من سنّته هذه إلا إذا لم يبقَ بينكم وبينه أيُّ بُعْدٍ، وأصبح رضاكم في رضاه ورغبـــتُكم في رغبته، ولم يبرح رأسُكم عن عتباته ﷻ سواء في حـــالات النجـــاح أو الفشل، ليفعل ما يشاء، فلو فعلتم ذلك فسوف يظهر فيكم الإله الذي وارى وجهَه وراء حجاب منذ زمن. فهل فيكم مَن يعمل بهذا ويبتغـــي مرضاته ولا يستاء من قضائه وقدره؟ فامضوا قُدُمًا عند حلول مـــصيبة، فإن ذلك سبيل رقيّكم، وابذلوا أقصى جهدكم في نشر **وحدانيّـــة الله** على الأرض. وارحموا عباده، ولا تظلموهم لا باللسان ولا باليـــد ولا بحيلة من الحيل. واسعوا جاهدين لخير الخَلْق دومًا. لا تتكبروا على أحد ولو كان مرؤوسَكم، ولا تسبّوا أحدًا ولو كان يسبّكم. كونوا مساكين حلماء صالحي النية مواسين للخَلق، لتكونوا من المقبولين. كثيرون هـــم الذين يتحالمون ولكنهم من الداخل ذئاب، وكثيرون مَن هم أصفياء في الظاهر ولكنهم في الباطن ثعابين؛ فلن تُقبَلوا في حضرة الله تعالى مـــا لم

يكن ظاهركم كباطنكم. ارحموا الصغار وأنتم كبار بدلاً من احتقارهم، وعِظوا الجاهلين وأنتم علماء بدلاً من إذلالهم من كبرياء، واخدموا المساكين وأنتم أثرياء بدلاً من التكبر عليهم من خُيَلاء. احذروا سبل الهلاك، واخشوا الله دائمًا واتّقوه. لا تعبُدوا المخلوق، وانقطعوا إلى مولاكم، وتبرّأوا من الدنيا، ولله وحده كونوا، ومِن أجله عيشوا، ومِن أجله اكرهوا كل رجس وإثم لأنه تعالى قدّوسٌ. ولْيَشهدْ لكم كلُّ صباح أنكم بِتُّم الليلةَ أتقياءَ، ولْيشهدْ لكم كلُّ مساء أنكم قضيتم النهار خائفين. لا تخافوا لعناتِ الدنيا، فإنها لا تلبث أن تتبخّر كالدخان، ولا تستطيع أن تحوِّل النهار ليلاً، بل خافوا لعنة الله التي تنزل من السماء وتقطع دابرَ مَن تحلّ به في الدنيا والآخرة.

لن تنجوا بأنفسكم بالرياء، لأن الله الذي هو إلهكم بصير بما في قلوب العباد، فهل تستطيعون أن تخدعوه؟ فاستقيموا وتَطهّروا وتَزكّوا وأخلِصوا. لو بقيتْ فيكم ذرة من الظلمة فسوف تذهب بنوركم كله، ولو كان فيكم كبرٌ أو رياءٌ أو عُجْب أو كسل بشكل من الأشكال فلستم بشيء يليق بالقبول. حذارِ أن تنخدعوا ببعض ما حققتم من الأمور فتظنوا أنكم قد حقّقتم به ما عليكم، ذلك أنَّ الله يريد أن يحدُث في أنفسكم انقلاب تام، ويريد منكم موتًا سيحييكم بعده.

سارِعوا إلى التصالح فيما بينكم، وأقيلوا عثراتِ إخوانكم، فشريرٌ ذلك الذي لا يرضى بمصالحة أخيه، ولسوف يُقطَع، إذ يُحدث الفُرقة.

تَخلَّوا عن أنانيتكم مِن كل وجه، ولا تباغضوا، وتذلّلوا ذلّةَ الكـاذب وأنتم صادقون لكي يُغفر لكم، واتركوا تسمين الـنفس لأنّ الإنـسان السمين لا يقدر على الدخول من الباب الذي نوديتم إليه. كم هو شقيٌّ ذلك الإنسان الذي لا يؤمن بهذه الكلمات التي خرجتْ مـن فـم الله فبيّنتُها. إِن كنتم تريدون أن يرضى الله عنكم في السماء فكونوا متحدين فيما بينكم اتّحادَ الشقيقين من بطن واحد. إنّ أكرمَكم أكثرُكم غفرانًا لأخيه، وشقيٌّ مَن يعاند ولا يغفر، فليس مني في شيء.

خافوا لعنة الله كثيرًا، فإنه قدُّوس وغيور. الفـاجر لا يـستطيع أن يحظى بقرب الله تعالى. والمتكبرّ لا يستطيع أن يحظى بقرب الله تعـالى. والظالم لا يستطيع أن يحظى بقرب الله تعالى. والخائن لا يـستطيع أن يحظى بقرب الله تعالى. وكل من لا يغار لله ﷻ لا يفـوز بقـرب الله تعالى. والذين يتهافتون على الدنيا كالكلاب والنمل والنسور واطمأنّوا بها لا يستطيعون أن ينالوا قرب الله تعالى.

كل عين نجسة بعيدةٌ عنه تعالى، وكل قلب نجس غافل عنه تعالى. مَن كان في النار مِن أجله ﷻ سيُنجى منها، ومَن بكى من أجله سيضحك، ومَن قطع صلته عن الدنيا لمرضاته سيَلْقاه.

كونوا أولياء الله بقلب مخلص وبصدق كامل وبِقَدَم الحماس، يكُـنْ مولىً لكم. ارحموا مَنْ هُم تحت أيديكم وأزواجَكم وإخوانَكم الفقراءَ، لتُرحموا في السماء. كونوا لله ﷻ حقًّا وصدقًا ليكون هو لكم. إن الدنيا

دار لألوف الآفات، ومنها الطاعون.. فاعتصموا بالله بصدق، ليُبعِد عنكم هذه الآفات. لا تقع آفةٌ في الأرض ما لم يصدر الحُكم من السماء، ولا تزول آفة منها ما لم تنزل الرحمة من السماء، فإنما الفطنة في أن تستمسكوا بالأصل لا بالفرع. إنكم لم تُنهَوا عن المداواة واتخاذ التدبير، وإنما نُهيتم عن الاتّكال عليهما. لن يحدث إلا ما أراد الله عزّ وجلّ، ومَن استطاع فليعلمْ أن مقام التوكل هو أفضلُ المقامات كلّها.

ومن التعاليم الضرورية لكم أن لا تتّخذوا القرآن مهجورًا، فإنّ فيه حياتَكم. إن الذين يُكرِمون القرآنَ سيُكرَمون في السماء، والذين يؤْثِرون القرآن على كل حديث وعلى كل قول سيُؤْثَرون في السماء. لا كتابَ لبني نوع الإنسان على ظهر البسيطة الآن إلا القرآن، ولا رسولَ ولا شفيعَ لبني آدم كلهم إلا **محمد المصطفى** ﷺ، فاسعوا جاهدين أن تحبّوا هذا النبيَّ ذا الجاه والجلال حبًّا صادقًا، ولا تُفضِّلوا عليه غيرَه بشكل من الأشكال، لكي تُكتَبوا في السماء من الناجين.

واعلموا أنّ النجاة ليست بشيء يظهر بعد الموت، إنما النجاة الحقيقية هي تلك التي تُري لمعانها في هذه الحياة الدنيا. **ألا من هو الناجي؟** ألا إنه الذي يوقن بأن الله حق، وأَن محمّدا ﷺ شفيعُ الخَلق كلهم عند الله، وأنْ **لا مثيلَ** له ﷺ مِن رسول **ولا نظيرَ** للقرآن من كتاب تحت أديم السماءِ، وأن الله تعالى لم يشأ لأحد أن يحيا حياة الخلود، **إلاّ أنّ هذا النبي المصطفى حيّ خالد إلى أبد الآبدين**. وقد مهّد الله سبحانه وتعالى لحياته ﷺ

الأبدية أنْ جعل إفاضته التشريعية والروحانية مستمرةً إلى يوم القيامة، وببركة فيضانه ﷺ الروحاني أرسل إلى العالم أخيرًا المسيحَ الموعود هذا الذي كان مجيئه ضروريًا لتكميل بنيان الإسلام، إذ كان لزامًا أن لا ينتهي هذا العالم ما لم يُبعث في السلسلة المحمدية مسيحٌ روحاني كما بُعث مسيح في السلسلة الموسوّية. وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

لقد نال موسى عليه السلام المتاعَ الذي كانت قد أضاعته القرون الأولى، وقد نال محمد ﷺ المتاع الذي كانت قد أضاعته سلسلة موسى. لقد قامت الآن السلسلة المحمديّة مقامَ السلسلة الموسوية، إلا أنها أعظم منها شأنًا آلاف المرّات. إن مثيل موسى أفضلُ من موسى، ومثيلَ ابن مريم أفضلُ من ابن مريم. ولم يظهر المسيح الموعود في القرن الرابع عشر من بعد النبي ﷺ كما كان المسيح ابن مريم قد ظهر في القرن الرابع عشر من بعد موسى عليه السلام فحسب[٩]، بل قد جاء في زمن صار المسلمون فيه أشبهَ حالاً باليهود الذين ظهر فيهم المسيح ابن مريم. وأنا ذلك المسيح الموعود، ويفعل الله ما يشاء. وسفيهٌ مَن يحاربه عزّ وجلّ، وجاهلٌ مَن يعترض عليه عزّ وجلّ قائلا: كان ينبغي أن يكون هكذا، لا هكذا. ولقد أرسلني الله تعالى مع آيات باهرات تنوف على عشرة آلاف منها آية الطاعون، فمَن

---

[٩] يسلّم اليهود بالإجماع بناءً على شهادة تاريخهم بأن ظهور المسيح كان على رأس القرن الرابع عشر من بعد موسى عليهما السلام. انظروا تاريخ اليهود. منه

بايعَني بصدق، واتّبعني بقلب صادق، وتخلى عن جميع رغباته متفانيًا في طاعتي، فهو الذي ستشفع له روحي في أيّام الآفات هذه.

فيا مَن تعدّون أنفسكم من جماعتي، اسمعوا وعوا جميعًا، **إنكم لن تُعَدّوا** من جماعتي في السماء إلا إذا سلكتم سبل **التقوى حقًّا** وصدقًا. فأَدُّوا صلواتِكم الخمس بخشية وخضوع كأنكم ترون الله تعالى، وأتِمُّوا صيامكم بصدق ابتغاءَ مرضاة الله تعالى، وكلّ مَن وجبتْ عليه الزكاة فليؤدِّها، وكلُّ مَن وجب عليه الحج فليحجّ ما لم يكن هناك مانع. افعلوا الخير على أحسن وجه، واتركوا الشر كارهين له. واعلموا يقينًا أن كل عملٍ خالٍ من التقوى لن يصل إلى الله تعالى. إنّ **التقوى** هي أصل كل حسنة، ولن يَضيعَ عمل لم يفُتْه هذا الأصل.

لا بد أن تُفتَنوا بأنواع الآلام والمصائب كما افتُتن المؤمنون من قبل، **فكونوا حذرين** لئلاّ تتعثروا. الأرض لا تستطيع أن تضرّكم شيئًا إن كانت لكم **صلة متينة** مع السماء. إذا تضررتم فإنما تضررتم بأيديكم لا بأيدي العدو. لو زالت عزّتكم الأرضية كلّها فلسوف يعطيكم الله في السماء عزّة لن تزول، فلا تهجروه. ولا بد أن تؤْذَوا وتروا خيبة آمال كثيرة، فلا تحزنوا على ذلك، لأن ربّكم إنما يبلوكم ليرى ما إذا كنتم ثابتين في سبيله أم لا. إن كنتم تحبّون أن يُثنِيَ عليكم الملائكة في السماء فاصبروا على الضرْب والأذى وافرحوا، واسمعوا الشتائم واشكروا، وواجِهوا خيبة الآمال ولا تقطعوا الصلة.

إنكم حزب الله الأخير، فقوموا بالعمل الصالح الذي هو الـــذروة في الكمال. إن كل من يتكاسل فسوف يُطرد مـــن الجماعـــة كالـــشيء الرديء، وسوف يموت بحسرةٍ، ولن يضرَّ الله شيئًا.

ألا إني **أبشّركم** بكل سرور بأن إلهكم لموجودٌ حقًـــا. لا شـــك أن الجميع خلْقُه إلا أنه لَيصطفي مَن يختاره ﷻ، ويأتي مَن يأتيه، ويُكرم مَن يعظِّمه ﷻ. فتعالوا إليه بقلوب سليمة وألسنة وأعـــين وآذان مطهَّـــرة، فلسوف يتقبّلُكم.

معنى الحديث: "يُدفَن معي في قبري"

إن ما يريد الله منكم مِن حيث العقيدة إنما هو أن تؤمنـــوا بـــأن الله واحد، وأن محمدًا ﷺ نبيُّه وأنه خاتم الأنبياء وأفضلهم. الآن لا نبيَّ بعده إلا الذي أُلبسَ الرداءَ المحمدي على سبيل البروز، فـــإن الخـــادم لـــيس بمنفصل عن مخدومه، ولا الفرع بمنشقّ عن أصله، فالذي ينال لقبَ **نبيٍ** من عند الله تعالى بعد تفانيه الكامل في المخدوم فليس بمُخلٍّ بختم نبوّتـــه ﷺ، فإنك إذا رأيت صورتك في المرآة، فلا تتحول إلى شخصين اثنيْن، وإنْ تراءى لك اثنان في الظاهر، إنما أنت واحد، والفرق فرقُ الأصـــل والظلّ فقط، فهذا تمامًا ما أراد الله للمسيح الموعود أيضًا، ومِن أجـــل **هذا السرّ** قال رسول الله ﷺ عن المسيح الموعود: يُدفَن معي في قبري.. يعني: **أنه أنا نفسي،** وليس بمنفصل عني.

واعلموا يقينًا أنّ **عيسى بن مريم** عليه السلام قد مات، وقبره موجـــود في حارة "خان يار"[١٠] بسرينغر في كشمير. لقد أخبر الله تعـــالى بموتـــه في كتابه العزيز، فإن كانت تلك الآية القرآنية تعني غيرَ الموت، فأين خـــبرُ موت عيسى بن مريم في القرآن إذًا؟ إذا كانت الآيات الدّالة على موته تعني غير ذلك -كما يعتقد خصومنا- فهذا يعني أنَّ القرآن لم يذكر أنه سوف يموت يومًا من الأيام. لقد أخبر الله بوفاة نبيّنا ﷺ، ولكنه لم يخبر بموت عيسى في القرآن كله -كما يزعمون- فما السرّ في ذلك يا ترى؟ وإن قالوا إن خبر موت عيسى مذكور في قوله تعالى ﴿فَلَمَّـــا تَـــوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[١١]، فليعلموا أن هذه الآية تدلّ صراحةً على أنّ عيسى قد مات قبل ضلال النصارى. باختصار، إذا كان قوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ يعني أنَّ عيسى عليه السلام رُفع حيًّا بجـــسده إلى الـــسماء، فلماذا لم يذكر الله في سائر القرآن موتَ رجلٍ قد أَهلَكَ الاعتقادُ بحياته مئاتِ الألوف من البشر، وكأنّ الله تعالى قد أبقاه حيًّا إلى أبد الآبـــدين

[١٠] هذا ما قاله الباحثون المسيحيون أيضًا، انظروا الصفحة ٥٢٢ من كتاب Supernatural Religion، وإن أردتم تفصيله فراجِعوا الصفحة ١٣٩ من كتابي "تحفة جولروية". منه

[١١] يتضح من هذه الآية نفسها أن عيسى عليه السلام لن يرجع إلى الدنيا مرة أخرى، إذ لو كان راجعًا إليها لصار جوابه هذا كذبًا محضًا أعني قوله بأنه لا يعلم عن ضلال النصارى شيئًا، إذ كيف يمكن لمن جاء إلى الدنيا ثانية ومكث فيها أربعين عامًا وشاهدَ ملايين النصارى الذين اتخذوه إلهًا وكسَر الصليب وجعل المسيحيين كلهم مسلمين، أن يعتذر في حضرة الله يوم القيامة بأنه لا يعلم عن ضلال النصارى شيئًا. منه

ليصير الناس مشركين وملحدين، مما يعني أن ذلك ليس خطأً من الناس وإنَّما الله نفسه مَن فعل ذلك كلّه ليضلّ الناس!

اعلموا جيدًا أن العقيدة الصليبية لن تموت من دون إثبات موت المسيح الناصري العَلَيْهِ السَّلَامُ، فما الفائدة من الاعتقاد بحياته خلافًا لتعاليم القرآن؟ دَعُوه يَمُتْ ليحيا هذا الدين. لقد أكّد الله تعالى في كلامه موتَ المسيح، وقد رآه رسول الله ﷺ بين الأموات ليلة المعراج، أفلا تؤمنون بعدَ هذا كله؟ **أيُّ إيمان هذا!** أتقدّمون رواياتِ الناس على كلام الله؟ أيُّ دين هذا[١٢]! ثم إن رسولنا ﷺ لم يكتف بالإدلاء بشهادته أنه قد رأى عيسى بن مريم بين أرواح الأموات فقط، بل أكّد ﷺ بموته هو عدمَ خلودِ أحد قبله ﷺ. فخصومنا كما يهجرون القرآن يهجرون السنَّة أيضًا، لأن الموت مِن سنّة نبيّنا ﷺ؛ فإذا كان عيسى حيًا فموت نبينا يمثّل إساءةً له ﷺ. فهم ليسوا من أهل السنة ولا من أهل القرآن ما لم يعتقدوا بموت المسيح العَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

[١٢] لقد أشار القرآن الشريف في آية بصراحة إلى كشمير حيث أخبر أن المسيح وأمه هاجرا إلى كشمير بعد واقعة الصليب، قال الله تعالى: ﴿وَآوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون:٥١).. أي: أننا هيّأنا لعيسى وأمّه ملاذًا في منطقة مرتفعة حيث الراحة والماء الصافي.. أي مياه الينابيع. لقد رسم الله هنا منطقة كشمير. علمًا أن لفظ "آوى" يُستعمل في لغة العرب بمعنى الإجارة من المصيبة أو الأذى، ولم يأتِ على عيسى وأمه قبل واقعة الصليب زمن حلت بهما فيه مصائب تقتضي الإجارة، فثبت من ذلك أن الله تعالى إنما أوصل عيسى وأمه إلى تلك الربوة بعد حادثة الصليب. منه

وإني لا أنكر عظمة عيسى عليه السلام. لا شك أن الله تعالى قد أخبرني أن المسيح المحمدي أفضل من المسيح الموسوي، إلا أني أكنّ للمسيح ابن مريم احترامًا كبيرًا، لأنني **خاتم الخلفاء** في الإسلام من حيث الروحانية كما كان المسيح ابن مريم خاتَمَ الخلفاء للأمة الإسرائيلية. كان ابن مريم مسيحًا موعودًا في الأمة الموسوية، وأنا المسيح الموعود في الأمة المحمدية، لذلك فإني أحترم الذي أنا سَمِيُّه، ومفسدٌ ومفترٍ مَن يتّهمني بأني لا أحترم المسيح ابن مريم عليه السلام. وليس ذلك فحسب، بل إنّني أحترم إخوانه الأربعة أيضًا، لأنّ الخمسة أبناءُ أمّ واحدة، بل إني أعتبر أختيه الشقيقتين أيضًا قديستين، إذ كان جميع أولئك الأبرار من بطن مريم البتول. أما مريم فما أعظمَ شأنَها إذ امتنعتْ عن الزواج مدة طويلة، ثم رضيتْ بعقد القِران نتيجة إصرار كبار القوم بسبب حملها. ومع أن الناس يعترضون قائلين بأنّ عقْد القران في أثناء الحمل يتنافى مع تعليم التوراة، فلماذا نقضتْ عهدها بأن تبقى عذراء، ولماذا وُضع الأساس لتعدّد الزوجات، إذ رضيتْ مريم بأن تتزوج من يوسف النجّار مع وجود زوجته الأولى؟ بيد أني أقول إنها كلها ضرورات ظهرتْ، وهؤلاء القوم يستحقّون الرحمة لا الملامة في تلك الحالة[13].

[13] كان للمسيح عليه السلام أربعة إخوة وأختان، وكانوا كلهم أشقاءه وشقيقاته، أعني أنهم

واجبات الأحمدي

بعد بيان هذه الأمور كلها أعود وأقول مرة أخرى: لا تظنّوا أنه يكفيكم أنكم قد بايعتم في الظاهر؛ فإنّ الظاهر ليس بشيء. إن الله ينظر إلى قلوبكم، فيعاملكم بحسب ما فيها. ألا إني لأبرَأُ من واجب التبليغ قائلا:

إنّ الإثم سمٌّ فلا تأكلوه، وإنّ معصية الله موتٌ نجسٌ فاجتنِبوه، وادْعوا الله تعالى لكي توهَبوا قوة.

إن الذي لا يوقن وقت الدعاء أن الله قادر على كل شيء، إلا ما استثناه في وعده، فليس من جماعتي. والذي لا يترك الكذبَ والخداع، فليس من جماعتي. والذي هو منغمس في مطامع الدنيا، ولا يكاد يرفع بصره إلى الآخرة، فليس من جماعتي. والذي لا يقدِّم الدين على الدنيا حقيقةً فليس من جماعتي. والذي لا يتوب توبةً نصوحًا من كل معصية وكل عمل سيئ كشرب الخمر والميسر والنظر إلى الحرمات والخيانة والتصرف غير المشروع، فليس من جماعتي. والذي لا يواظب على الصلوات الخمس فليس من جماعتي. والذي لا يداوم على الدعاء ولا يذكر الله بتواضع فليس من جماعتي. والذي لا يهجر رفيقَ سوءٍ ينفث فيه الأثر السيئ فليس من جماعتي. والذي لا يحترم والديه ولا يطيعهما في الأمور المعروفة غيرِ المخالِفة

كلهم كانوا أولاد يوسف ومريم. أما أسماء الإخوة الأربعة فهي: يهوذا، يعقوب، وشمعون ويوزس، وأما الأختان فهما: آسيا وليديا. (انظرْ Apostolical Records للقسيس John Allen Giles، طبعة لندن ١٨٨٦ ص ١٥٩ و١٦٦). منه.

للقرآن الكريم، ويتهاون في خدمتهما فليس من جماعتي. والذي لا يعاشر زوجته وأقاربها بالرفق والإحسان فليس من جماعتي. والذي يحرم جارَه حتى اليسيرَ مِن خيره فليس من جماعتي. والذي لا يريد أن يعفو عمن أساء بحقّه، وكان حقودًا، فليس من جماعتي. وكل امرئ يخون زوجته أو امرأة تخون زوجها، فليس من جماعتي. والذي ينقض، بشكل من الأشكال، العهدَ الذي قطعه معي عند البيعة فليس من جماعتي. والذي لا يؤمن بي **مسيحًا موعودًا ومهديًّا معهودًا** في الواقع فليس من جماعتي. والذي هو غير مستعدّ لطاعتي في الأمور المعروفة فليس من جماعتي. والذي يجالس زمرة المعارضين ويوافقهم الرأيَ فليس من جماعتي. وكلّ زانٍ وفاسق وشارب خمر وسفّاك وسارق ومقامر وخائن ومرتشٍ وغاصب وظالم وكاذب ومزوّر وجليسهم، وكل مَن يرمي إخوانَه وأخواتِه بتُهَمٍ، ولا يتوب عن أفعاله الشنيعة ولا يهجر مجالس السوء، فليس من جماعتي.

إن هذه الخصال كلّها سمومٌ لا يمكنكم النجاةُ قطعًا بعد تناوُلها. لا يجتمع الظلام والنور في مكان واحد. كل ذي طبع مُعوجّ وغير مخلص لله تعالى لا يستطيع أبدًا أن ينال تلك النعمة التي يؤتاها ذوو القلوب النقيّة.

ما أسعدَ أولئك الذين يعملون على صفاء قلوبهم ويطهّرون بواطنهم من كل رجس، ويبرمون مع ربهم عهد الوفاء! لأنهم لن يضاعوا أبدا، ولن يخزيهم الله أبدًا، لأنّهم لله والله لهم. إنهم سيُعصمون عند كل بلاء،

وسفيهُ العدوُّ الذي يقصدهم بسوء، لأنّهم في حضن الله والله حاميهم. **مَن هو المؤمن بالله؟** إنْ هم إلا أمثال هؤلاء. وسفيهٌ كذلك مَن يأخذه الهمّ من أجل شخصٍ جريءٍ آثمٍ خبيثِ الطوية وشرير النفس، فإنّه بنفسه سيهلك. لم يهلك الله الأبرارَ ولم يدمّرهم قط منذ أن خلق السماء والأرض، كلاّ بل إنّه تعالى لم يزل يُري من أجلهم أفعالاً كُبرى، وكذلك يُرِيها الآن أيضا. إن ذلك الإله وفيٌّ جدًا وتَظهر عجائبُ أفعاله لأوفيائه. الدنيا تريد أن تزدريهم، وكل عدو يريد أن يسحقهم بغيظه سحقًا، ولكن مولاهم يعصمهم من الردى في كل موطن، ويكلّلهم بالظفر في كل ميدان. فما أحسنَ طالعًا **مَن لا يفارق كنفه** ﷻ! لقد آمَنّا بذلك الإله وعرفناه.

إنّما إله الكون كله من أنزل عليّ الوحي، وأظهر لي **آيات عظيمة**، وبعثني لهذا الزمان **مسيحًا موعودًا**. لا إله إلا هو، لا في السماء ولا في الأرض. ومن لم يؤمن به فهو محروم من السعادة وأسيرُ الخذلان. ولقد تلقّينا وحيَ ربِّنا مضيئًا كالشمس، وأدركنا أنّه هو إله الكون ولا إله غيره. يا له مِن إله قادر وقيوم الذي وجدناه، ويا له مِن مالك للقدرات الهائلة الذي رأيناه. والحق أنّه لا مستحيل بين يديه إلاّ ما كان خلاف كتابه ووعده، لذلك فإذا قمتم بالدعاء فلا تدْعوه مثل الطبيعيين الجاهلين الذين اختلقوا من عندهم ناموسًا طبيعيًا غيرَ مختوم بخاتَمٍ من كتاب الله؛ فإنهم مردودون ولن تقبل دعواهم. إنهم عميان لا يبصرون،

وأموات غير أحياء. يقدّمون إزاء الله تعالى ناموسًا اختلَقوه من عند أنفسهم، ويحدّدون قدراته اللاّمحدودة، ويعتبرونه ضعيفًا، لذلك فسيُعامَلون بحسب حالهم. أما أنت فإذا قمتَ للدعاء فعليك أن توقن بأن إلهك قادر على كل شيء، وعندها سيستجاب دعاؤك، وستشاهد عجائب قدرته التي قد شاهدناها، وإنّ شهادتنا لشهادةُ رؤية لا من قبيل القصص. وأَنَّى لإنسان لا يؤمن بأن الله قادر على كل شيء أن يستجاب دعاؤه؟! بل كيف يتحمس هو للدعاء عند حلول الشدائد العظمى التي يؤمن أن زوالها مخالف لنواميس الطبيعة؟! أما أنت أيها الإنسان السعيد! فلا تفعل هكذا! فإنّ ربك هو ذلك الذي علّق الكواكب التي لا تعدّ ولا تحصى بغير عمد، وخلق الأرض والسماء من عدم محض، فكيف تسيء به الظنّ بأنّه سيعجز[١٤] عن تحقيق أمرك؟ كلا، بل إن سوء ظنّك هو الذي سيجعلك من المحرومين.

---

[١٤] إن الله تعالى لا يعجز في أمر، غير أن كتاب الله قد بيّن قاعدة بشأن الدعاء بأنّ الله، ببالغ رحمته، يعامل الإنسانَ الصالح معاملة الأصدقاء، أي أنه تعالى حينًا لا ينفّذ مشيئته تعالى ويسمع دعاء عبده، كما قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١)، وحينًا يأبى إلاّ أن ينفذ مشيئته كما قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ (البقرة: ١٥٦)، ذلك ليزيد العبد يقينًا ومعرفةً بمسايرته وفق دعائه حينًا، وحينًا آخر يمنحه خلعةَ رضاه بتنفيذ مشيئته هو سبحانه، ويرفعه مرتبة، ويحبّه حبًّا، ويقدّمه في سبيل الرشاد. منه

إن في إِلهنا عجائب لا تُعَدُّ ولا تحصى، ولكن لا يراهـا إلا الـذين صاروا له بصدق ووفاء. إنه تعالى لا يُظهر تلك العجائب على الأغيـار الذين لا يوقنون بقدراته ولا هم من أوفيائه الصادقين. شقيٌّ مَن لا يعلم بعدُ أن له إلهًا واحدًا قادرًا على كل شيء!

إنّ فردوسنا إلهنا، وإنّ أعظمَ ملذّاتِنا في ربّنا، لأننا رأيناه ووجَدْنا فيه الحسنَ كله. هذا الكنـز لجديرٌ بالاقتناء ولو افتدى الإنسانُ به حياتَه، وهذه الجوهرة لَحَرِيّةٌ بالشراء ولو ضحّى الإنسان في طلبها كلَّ وجوده. **أيها المحرومون، هلُمّوا سِراعًا إلى هذا الينبوع**، فإنه **سيروي** عطشكم. إنه ينبوع الحياة الذي ينقذكم. ماذا أفعل وكيف أُقِرُّ هذه البـشارة في القلوب؟ وبأيّ **دفٍّ أنادي** في الأسواق بأنّ هذا هو إلهكم حتى يـسمع الناس؟ وبأيّ دواء أعالج حتى تنفتح للسمع آذانُ الناس؟

إنْ كنتم لله فاعلموا يقينًا أن الله لكم. ستكونون نيامًـا والله يـسهر لكم. وستكونون في غفلة من العدو، ويكون الله له بالمرصاد، ويـدمّر مكيدته تدميرًا. إنكم لا تعلمون حتى الآن ما يملكه إلهكم من قـدراتٍ! ولو كنتم تعلمون لما طلع عليكم يوم تصابون فيه بقلق شديد من أجل دنياكم. فهل يبكي مالكُ كنـزٍ كبير ويصرخ ويشارف الموت لضياع ملّيم واحد؟ فلو كنتم مطّلعين على ذلك الكنـز، أعني لو علمـتم أن إلهكم سيغنيكم عند كل حاجة، لما أخذكم الهمّ لهذه الدرجة من أجـل دنياكم؟ إنّ الله لكنـز عظيم فاقدروه، فإنه ناصرُكم عند كل خطوة،

ولستم بشيء مِن دونه، لا أنتم ولا أسبابكم ولا مكائدكم. لا تقلّدوا غيركم من الأمم التي تهافتت على الأسباب كلّيّةً، ولَحَسَتْ ثرى الأسباب السفلية كما تلحس الأفاعي الترابَ، وعضّت على الجيفة بنواجذها كما تنهش الحِدْآنُ والكلابُ الجيفةَ. لقد بَعُدَ هؤلاء عن الله تعالى بُعدًا كبيرًا، وعبدوا البشرَ، وأكلوا لحم الخنزير، وشربوا الخمر كالماء، وهلكوا لتمايُلهم على الأسباب أكثر من اللازم، وماتوا بسبب عدم استعانتهم بالله تعالى، وطارت منهم الروح السماويّة طيرانَ الحمام من العشّ. إن في باطنهم جُذامَ التكالُب على الدنيا الذي جذّم أعضاءهم الباطنة كلها، فاحذروا أنتم ذلك الجذام!

لا أمنعُكم من اتخاذ الأسباب باعتدال، إنّما أمنعكم من أن تكونوا عَبَدةً للأسباب مثل الأقوام الأخرى، فَتَنْسَوْا ذلك الإله الذي هو يهيئ الأسباب أيضًا. لو كانت عندكم عينٌ لرأيتم أن الله هو كل شيء، وأن ما سواه باطل كله. إنكم لا تستطيعون مَدَّ أيديكم ولا ضَمَّها إلا بإذنه تعالى. سيسخر من هذا الكلام مَن هو كالميت، لكنه لو مات لكان خيرًا له من هذه السخرية!

ألا لا تقلّدوا الأمم الأخرى برؤية ما حقّقوه من تقدُّمٍ في خططهم الدنيوية، فتقولوا هَلُمَّ نتّبعْ سبيلهم. ألا فاسمعوا وعوا، إنهم لا يعرفون أبدًا الله الذي يدعوهم إلى نفسه، وغافلون عنه تمامًا. **ما هو** إلههم؟ إنْ هو إلا إنسان عاجز، ولذلك فقد تُركوا في غفلتهم يعمهون.

لا أمنعُكم من كسب الدنيا وحِرفتها، ولكن لا تتّبعوا الذين حسبوا الدنيا كلَّ شيء. ينبغي أن تداوموا على الاستعانة بالله تعالى في كل عمل، سواء أكان من أعمال الدنيا أو الدين، ولكن لا بشفاهكم فقط، بل بإيمان صادق بأن كل برَكة إنما تنزل من السماء فقط. لن تكونوا بارّين حقًّا إلا إذا كان دأبكم -عند كل مهمة وعند كل مشكلة وقبل أن تتخذوا أية حيلة- أن تغلقوا عليكم الباب وتخروّا على العتبة الإلهية قائلين: اللهم قد أصابتنا هذه البليّة، فيسِّرْ لنا أمرنا بفضلك. عندها سيؤيّدكم روح القدس، ويُفتَح لكم السبيل من وراء الغيب.

ارحموا أنفسكم، ولا تتّبعوا أولئك الذين قطعوا عن الله كل صلة، وتهافتوا على الأسباب كل التهافت، حتى إنهم ما ينبسون بكلمة "إن شاء الله" طلبًا للقوة منه. فتح الله عيونكم لتعلموا أَن إلهكم هو دعامة تدابيركم كلها؛ هل تبقى الروافد مستقّرة في السقف إذا تهدّمت الدعامة؟ كلا بل ستسقط دفعة واحدة، وقد تزهق نفوسًا كثيرة؛ فكذلك من المحال أن تنفعكم تدابيركم من غير معونة الله، فإن لم تستعينوا به و لم تتخذوا الاستعانة به دستورًا لكم، فلن تفلحوا أبدًا، بل ستموتون أخيرًا بحسرة كبيرة.

ولعلكم تتساءلون: لماذا تنجح الأمم الأخرى مع أنّها لا تعرف الربّ الذي هو ربّنا الكامل القادر؟ إنما جوابه أنّها قد ابتُليت بالدنيا لإعراضها عن ربّها. واعلموا أن الله يبتلي تارةً مَن يتركه ويتكالب على الدنيا

وملذّاتها ويطمع في أموالها بفتح أبوابها عليه، بينما يجعله في الدين مفلسًا تمامًا لا يملك منه شيئًا، فيموت في النهاية هائمًا وراء الدنيا ويُلقى في الجحيم الأبدية. وتارةً أخرى يبتليه الله تعالى بخيبة آماله في الدنيا أيضًا، غير أنّ هذا الابتلاء ليس مدمرًا مثل الابتلاء الأوّل، ذلك أنّ صاحب الابتلاء الأول يكون أشدَّ زهوًا. وعلى كلٍ، فهذان الفريقان كلاهما من المغضوب عليهم. إنّ مصدر السعادة الحقيقية هو الله، فما دام هؤلاء غافلين عن ذلك الإله الحيِّ القيّوم، بل لا يكترثون له على الإطلاق معرضين عنه، فأنّى لهم أن يحظوا بالسعادة الحقيقية؟ مباركٌ مَن أدرك هذا السرّ! وهالكٌ من لم يدركه.

وكذلك ينبغي أن لا تتّبعوا فلاسفة هذه الدنيا ولا تنظروا إليهم نظرة إجلال، فهذه الفلسفة ليست إلا جهل وغباء. إنّ الفلسفة الحقّة هي تلك التي علّمكم الله إياها في كلامه العزيز. لقد هلك الذين يعشقون الفلسفة الدنيوية، وقد أفلح الذين يتحرّون العرفان الحق والفلسفة الصادقة في كتاب الله. لماذا تسلكون سبل الجهل؟ أفتُعلِّمون اللهَ ما لا يعلم؟ أتجرون وراء العميان ليهدوكم السبيل؟ أيها الجُهّال! كيف يهديكم مَن هو أعمى! الفلسفة الحقّة إنما تأتي من روح القدس، وقد وُعِدتم بها. بوسيلة الروح ستوصَلون إلى المعارف المقدسة التي لا يمكن أن يصل إليها الأغيار. إذا طلبتموه بصدق فستجدونه في نهاية المطاف، وعندها تدركون أنّ هذا هو العلم الذي يهب القلب نضارةً وحياة

ويوصل إلى منارة اليقين. أما مَن كان يأكل الجيفة، فكيف يجلب لكم غذاءً طيبًا؟ ومن كان أعمى فأنىّ له أن يُريكم؟! إن كل حكمة مقدسة تأتي من السماء، فماذا تريدون عند أهل الأرض. إن الذين ترتفع أرواحهم إلى السماء هم الوارثون للحكمة، أما الذين هم غير مطمئنين كيف يهبون لكم الطمأنينة؟ غير أنه لا بدَّ لذلك من طهارة القلب أوّلاً، ولا مناص من الصدق والصفاء، ثم بعدها تُعطَون هذه كلها.

الوحي باق في الأمة المحمدية

لا تحسبوا أنّ زمان الوحي الربّاني قد ولّى وانقضى، ولا يمكن أن يترل الآن منه شيء،[١٥] وأنّ روح القدس لا يسعه الترول الآن، وإنّما كان نزوله في القرون الأولى فقط. أقول لكم صدقًا وحقًّا إنّ كلَّ باب يمكن أن يُغلَق، ولكن باب نزول روح القدس لن يُغلَق أبدًا، فافتحوا أبواب قلوبكم ليدخلها. إنكم تُبْعِدون أنفسَكم عن تلك الشمس إذ تسدّون النافذة التي يدخل شعاعها منها. أيها الجاهل، قُمْ وافتحْ تلك النافذة تنفذْ الشمس إلى داخلك من تلقائها. أتظنون أنّ الله تعالى قد سدّ عليكم سبل الفيوض السماوية التي كنتم اليوم بأمسّ حاجة إليها، وهو الذي لم يسدّ عليكم سبل خيرات الدنيا في هذا الزمن، بل زاد فيها؟

[١٥] لقد خُتمت الشريعة بالقرآن الشريف، أما الوحي فلم ينتهِ، لأنه روح الدين الحق، والدينُ الذي انقطعت منه سلسلة الوحي الرباني لهو دين ميت، واللهُ ليس معه. منه

كلاَّ! بل قد فُتح ذلك الباب بجلاء تامّ. فالآن وقد فتح الله عليكم باب النِعم السابقة بأسرها وفقًا لتعليمه الذي لقّنه في سورة الفاتحة، فلماذا ترفضون أخْذَها؟! تَعطّشوا لتلك العين يتفجر لكم الماء من تلقائه، وابدؤوا بالبكاء لذلك اللبن بكاءَ الطفل يدرّ لكم اللبنُ من الثدي تلقائيا. كونوا مؤهلين للرحمة لتُرحموا. اضطربوا لتطمئنّوا. اصطرخوا مرة بعد أخرى لتُمسِككم يدٌ.

ما أشدَّه وُعورةً ذلك السبيلَ الذي هو سبيل الله! إلا أنه يُسهَّل للذين يُلقون بأنفسهم في هذه الهوّة السحيقة راضين بالموت. إنّهم يقرّرون في قرارة نفوسهم أنّهم راضون بالنار وأنهم سيحترقون فيها من أجل حبيبهم، ثم عندما يُلقون بأنفسهم في النار فإذا هي الجنّة. وهذا هو المراد من قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا...﴾[16].. أي: يا أيها الفجّار ويا أيها الأبرار، ليس منكم أحد إلا سيمرّ بنار جهنم، غير أن الذين يرتمون في تلك النار لوجه الله سيُنَجَّون منها، أما الذي يمرّ بالنار من أجل نفسه الأمّارة فستلتهمه تلك النار.

فمباركون أولئك الذين يحاربون أنفسَهم لله، وأشقياء أولئك الذين يحاربون اللهَ لأنفسهم ولا يوافقونه. إن الذي يخالف حُكم الله من أجل نفسه لن يدخل السماءَ أبدًا. فاسعوا جاهدين كي لا تشهد عليكم نقطة واحدة أو حرف واحد من القرآن فتؤاخذوا بسببها فقط، لأن الشر -ولو

---

[16] مريم ٧٠

كان مثقال ذرة- يستوجب العقابَ. الوقت قصير، وغاية الحياة لم تُحقَّق بعدُ. ألا فأَسْرِعوا الخُطى فإن المساء قريب. وافحصوا مرة بعد أخرى المتاعَ الذي ستقدّمونه، لئلّا ينقص منه شيء فيسبّب لكم الخسران، أو يكون كلُّه بضاعةً فاسدةً مغشوشةً لا تصلح لأن تُقدَّم إلى البلاط الملَكي.[١٧]

لقد تناهى إلى سمعي أن بعضًا منكم لا يؤمنون بالحديث مطلقًا. فإن كانوا كذلك فإنهم مخطئون جدًّا. إنني لم أعلّم هذا أبدًا، بل إن مذهبي هو أن الله تعالى قد أعطاكم لهدايتكم ثلاثة أشياء؛ أوّلها القرآن الكريم، الذي يشتمل على وحدانية الله وجلاله وعظمته ﷻ والقراراتِ الفاصلة فيما اختلف فيه اليهود والنصارى، كاختلافهم وخطئهم بأن عيسى بن مريم قد قُتل على الصليب وصار ملعونًا، ولم يتمّ رفعه كما رُفع غيره من الأنبياء. كذلك يأمر القرآن ألا تعبدوا من دون الله تعالى شيئًا، لا الإنسان ولا الحيوان ولا الشمس ولا القمر ولا النجوم ولا الأسباب ولا أنفسكم. فكونوا حذرين ولا تخْطُوا خطوةً واحدة خلاف تعليم الله

[١٧] والذريعة الثانية للهداية هي السنّة، أعني تلك الأسوة المقدسة التي قدّمها النبي ﷺ بأفعاله وأقواله، فمثلاً صلّى الصلاة وأرانا بأنه هكذا ينبغي أن تكون الصلاة، وصام وبين لنا أنه هكذا ينبغي أن يكون الصوم. فهذا اسمُه السنّة، ومعناها سلوك النبي ﷺ الذي ظلّ يُري قولَ الله في صورة الفعل. والذريعة الثالثة للهداية هي الحديث، وهو أقوال الرسول ﷺ المجموعة بعده. والحديث دون القرآنِ والسنّةِ مرتبةً، لأن أكثر الأحاديث ظنّيّة، أما إذا اقترنت السنّة بالحديث حوّلته إلى اليقين. منه

وهدْي القرآن. أقول والحق أقول لكم إن الذي يُعرض عن أصغر حكم من أحكام القرآن السبعمئة فإنه بيده يسدّ على نفسه باب النجـــاة. إن القرآن هو الذي قد فتح سبل النجاة الحقيقية والكاملة، أما مـــا ســـواه فليس إلاّ ظلًا له، لذلك فاقرأوا القرآن بتدبّر، وأَحِبّوه حبًّا جمًّا، حبًّا مـــا أحببتموه أحدًا، لأن الله تعالى قد خـــاطَبَني وقـــال: "**الخـــيرُ كلُّـــه في القرآن**". وإنّ هذا لهو الحق، فوا أسفًا على الذين يقدّمون على القـــرآن الكريم غيرَه. إنّ مصدرَ فلاحِكم ونجاتكم كلّه في القرآن. ما من حاجة من حاجاتكم الدينية إلا وتوجد في القرآن. إن القرآن لَهُو المـــصدِّق أو المكذِّب لإيمانكم يوم القيامة. لا كتابَ سوى القرآن تحت أديم السماء يمكن أن يهديكم بلا واسطة القرآن. لقد منَّ الله عليكم منّةً عظيمـــة إذ أعطاكم كتابًا مثل القرآن.

أقول لكم صدقًا وحقًا إنّ الكتاب الذي يُتلى عليكم لو تُلـــي علـــى النصارى لما هلكوا، وإنّ هذه النعمة والهداية التي أوتيتموها لو أوتيهـــا اليهود مكانَ التوراة لما كفرتْ بعضُ فِرَقهم بيوم القيامة. فاقدروا هـــذه النعمة التي أوتيتموها. إنها لَنعمة غالية. إنها لَثروة عظيمة! لو لم يـــأت القرآن لكانت الدنيا كلها كمضغة قذرة. إن القرآن كتاب لا تـــساوي جميعُ الهدايات الأخرى إزاءه شيئًا. إن روح القدس الذي نزل بالإنجيل ظهر في صورة حمامة؛ وهي حيوان ضعيف وعاجز تستطيع حتى الهـــرّة اختطافه، لذلك ظلّ النصارى يتدهورون ويزدادون انحطاطًا يومًا بعـــد

يوم، حتى لم تبق فيهم روحانيّة، لأنّ مدار إيمانهم كلـه كـان علـى الحمامة. أما القرآن فقد تجلّى روحه القدس الذي جاء به بهيئة عظيمـة ملأت بكيانها العالَمَ بأسره من الأرض إلى السماء. فشتان بـين تلـك الحمامة وهذا التجلّي العظيم الذي هو مذكور في القرآن الكريم أيـضًا! إن القرآن قادر على تطهير الإنسان في أسبوع واحد إنْ لم يكن هنـاك إعراض ظاهري أو باطني. إنّ القرآن قادر على أن يجعلكم مثل الأنبيـاء شريطة ألا تفرّوا منه. أيُّ كتاب سوى القرآن علّم قرّاءه منذ البداية هذا الدعاء وأراهم بارقة الأمل هذه؟ أعني قوله تعالى: ﴿اهْـدِنَا الـصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.. أي: أَرْشِـدْنا إلى سـبيل نعمائك التي أرشدتَ إليها الأولين من المنعَم عليهم من النبيين والرسـل والصدّيقين والشهداء والصالحين. لذلك فارفعوا هِمَمَكم، ولا تـردّوا دعوة القرآن، فإنه يريد أن يهبكم النعم التي وهبها للأولين. ألم يُعطِكم مُلْكَ بني إسرائيل وقُدْسَهم التي لا تزال في قبضتكم حتى اليـوم؟ فيـا ضعفاء الإيمان وضعفاء الهمّة، أتظنّون أن الله جعلكم خلائفَ لأملاك بني إسرائيل المادية كلها، لكنه لم يقْدر أن يجعلكم خلائف لهم روحانيًـا! كلا، بل إن الله يريد أن يُنعم عليكم أكثر مما أنعم عليهم. لقد أورثَكم ربُّكم أمتعتَهم وأموالهم الروحية والمادية، أما أنتم فلن يرثكم أحد حتى تقوم القيامة. لن يحرمكم الله أبدًا نعمـةَ الـوحي والإلهـام والمكالمـة والمخاطبة الإلهية. إنه سيُتمّ عليكم جميعَ النِعم التي أوتيَها الأوّلون، غـير

أنّ الذي سيفتري على الله كذبًا ووقاحةً ويقول لقد نزل عليّ وحي الله ولم يكن قد نزل، أو قال لقد حظيتُ بشرف المكالمة والمخاطبة الإلهية، ولم يكن قد حظي بها، فأقول -وأنا أُشهِد اللهَ وملائكتَه على ما أقول- إنّه سيَهلك حتمًا، لأنه قد افترى على خالِقه كذبًا وخدَع وتجاسر جدًّا ووقح وقاحة كبيرة، لذا فاحذروا هذا الأمر. ألا لعنة الله على الذين يختلقون الرؤى ويدّعون زورًا تلقّي المكالمة والمخاطبة الإلهية، كأنهم يظنّون في أنفسهم أنه ليس هناك أيُّ إلهٍ! كلا، بل إن عقاب الله سيأخذهم أخذًا وبيلاً ولن ينفلتوا من يومهم المشؤوم. فعليكم أن تزدادوا صدقًا وسدادًا وتقوى وحبًّا لله حبًّا ذاتيًا، واجعلوا هذا الأمر نصب أعينكم ما دمتم أحياءً، ثم يشرِّف الله بمخاطبته وكلامه أيضًا مَن يشاء له ذلك منكم. ولكن إيّاكم أن تتمنّوا هذا أبدًا، لئلا تبدأ، بسبب أمنيّتكم النفسانية هذه، سلسلةُ المكالمة الشيطانية التي تُهلك الكثيرين. عليكم العكوف على الخدمة والعبادة وبذل منتهى الجهد في طاعة أحكام الله كلها وابتغاء زيادة اليقين منه، لكن بقصد النجاة، لا بقصد التفاخر بأنكم ممن يتلقون الوحي.

لقد حفظ القرآن الكريم لكم وصايا مقدسة جدًا، منها أن تجتنبوا الشرك كلّيّةً، ذلك أن المشرك محروم من ينبوع النجاة. ولا تكْذبوا فإن الكذب جزء من الشرك.

المقارنة بين تعليم القرآن وتعليم الإنجيل

لا يقول لكم القرآن كالإنجيل ألا تنظروا إلى النساء غير المحارم نظَرة سوء وبشهوة، بينما يحلّ لكم النظر إليهن بدون ذلك، بل يقول لا تنظروا إليهنّ أبدًا لا بنظرٍ سيئٍ ولا بنظرٍ حسنٍ؛ لأن كل ذلك موطنُ عثارٍ لكم.. بل حريٌّ بك أن يظلّ طرفك غضيضًا فاترًا تجاه المرأة غير المحرمة بحيث لا تعرف من صورها إلا بقدر ما يراه المصاب في عينه بداء الرمد حديثًا من رؤية ضبابية.

ولا يقول لك القرآن كالإنجيل ألا تشرب من الخمر ما يسكرك، بل يقول لا تشربْها مطلقًا، وإلاّ فلن تهتدي إلى سبيل الله، ولن يكلّمك ربك، ولن يطهّرك من الأنجاس. ويعلن القرآن أن الخمر مِن صنْع الشيطان فاجتنبْها.

ولا يقول لك القرآن كالإنجيل: لا تغضب على أخيك بغير حق؛ بل يقول لك: لا تكظم غيظك فحسب، بل عليك العمل بقوله تعالى: ﴿وَتَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [١٨]، فينبغي أن تدعو الآخرين أيضًا إلى الصبر دوما، ولا ترحم الناس فقط، بل ادعُ أيضًا إخوانك أجمعين إلى التراحم.

---

[١٨] البلد: ١٨

ولا يقول لك القرآن الكريم كالإنجيل: اصبرْ على كــل خبــثٍ في امرأتك إلا الزنى ولا تطلّقْها، بل إنه يقول: ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾[19]. فإنّ قرار القرآن هو أن الخبيث لا يمكنه أن يعاشر الطيّـــب، فــإنْ كانـــت زوجتك لا تزني، لكنها تنظر إلى الأغيار بشهوة وتعانقهم، وتَصدر عنها مقدِّمات الزنى وإنْ لم ترتكب هذه الفعلة بعد، وتكشفُ للغير عورتها، وهي مشركة ومُفسدة ومتبرئة من ذلك الإله القدوس الذي أنت مؤمن به، فينبغي عليك أن تطلِّقَها إنْ لم تكفّ عن ذلك، لأنها قــد فارقتْــك بأعمالها و لم تعُدْ قطعةً من جسدك الآن، فلا يسوغ لــك بعــدها أن تصاحبَها كما يفعل الدَّيُّوث، فإنها ليست الآن عضوًا من جــسدك، إنْ هي إلاّ عضو فاسد متعفن جدير بالبتر؛ لئلا يفسد سائر جسدك، فتكون من الهالكين.

ولا يقول لك القرآن كالإنجيل: لا تحلفْ البتّةَ، وإنما ينهاك عن الحلف الباطل، ذلك لأن الحلف وسيلة ناجعة لحسم الأمر في بعض الأحــوال، ولا يريد الله أن يبطل ذريعة من ذرائع الإثبات، لأن إبطالها يتنافى مــع حِكمتِه. إذا لم يشهد أحد من البشر في الأمر المتنازع فيه، فتمسّ الحاجة -طبعًا- إلى شهادة الله لحسم الأمر، والحالف يعني بحلفه أن يجعــل الله شاهدًا على ما يقول.

---

[19] النور: ٢٧

ولا يقول لك القرآن كالإنجيل: لا تقاوم الظالم أبدًا، وإنما يقول: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[٢٠].. أي يجب أن يكون عقاب السيئة بقدر حجمها، ولكن الذي يعفو ويصفح عن المذنب بشرط أن يؤدي العفو إلى إصلاح لا فساد، فليعلمْ أن الله راضٍ عنه، وسيجزيه عليه. فلا الانتقام محمود في كل محل، ولا العفو محمود في كل مكان طبقًا للقرآن الكريم، بل ينبغي مراعاة الوضع والمحل، فينبغي الانتقام أو العفو بمراعاة المحل والمصلحة، لا أن يكون على عواهنه، هذا هو مقصود القرآن.

ولا يقول لك القرآن كالإنجيل أن تحبّ أعداءك؛ وإنما يقول: ينبغي أن لا تعادي أحدًا من أجل نفسك، بل يجب أن تعمّ مواساتُك كلَّ إنسان، غير أن الذي هو عدوّ لإلهك ولرسولك ولكتاب الله فهو عدوّك؛ فلا تحرِمْ أمثالَ هؤلاء أيضًا دعوتَك ودعاءَك، فيجب أن تُبغض أعمالهم، ولا تُبغض أشخاصهم، وأن تسعى جاهدًا لإصلاحهم. يقول الله تعالى بهذا الشأن: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[٢١]، أي: ماذا يريد الله منك؟ إنما يريد أن تعامل جميع البشر بالعدل، وفوق ذلك أن تحسن إلى من لم يحسن إليك، ثم فوق ذلك أنْ تواسي خلق الله كأنهم أقاربك الأقربون؛ وتعاملهم كما تعامل الأمّهاتُ

---

[٢٠] الشورى: ٤١

[٢١] النحل: ٩١

أولادَهُنّ؛ ذلك أنّ الإحسان يشوبه شيء من الزهو والكبر، ولأن المحسن قد يمنّ بإحسانه، ولكن الذي يفعل الخير بدافع طبيعي كما تفعـــل الأم فلا يمكن أن يزدهي أبدًا، لذا فمنتهى درجات الخير هو الدافع الطبيعي له كدافع الأم.

واعلمْ أن الآية المذكورة لا تخصّ المخلوق فقط، بل تخـــص ذات الله أيضًا، فأما عَدْلُك مع الله تعالى فيعني أن تطيعه بـــذِكر نعمـــه، وأمـــا إحسانك إليه ﷻ فهو أن توقن به ﷻ كأنّك تراه، وأمـــا "إِيتـــاء ذي القربى" في حق الله تعالى فهو أن تعبده لا طمعًا في الجنة ولا خوفًا مـــن الجحيم، بل حتى ولو افترضنا جدلاً أنه ليس هناك جنة ولا نار، فيجب أن لا يفتر حبك وطاعتك لله ﷻ.

وقد ورد في الإنجيل: ادعوا بالبركة لمن يلعنكم، ولكن القرآن الكريم يقول: لا تفعل شيئًا من عند نفسك، بل استفتِ قلبك -الذي هو مظهر لتجليات الله- في طريقة التعامل مع اللاعن؛ فإنْ ألقى الله في رُوعك أنه أحقُّ بالرحمة وأنه غير ملعون في السماء، فلا تلعنه لئلا تُعَدّ ممن يخالفون الله تعالى، وأما إذا لم يعذرْه وجدانك، وألقى الله في قلبك أنه ملعون في السماءِ، فلا تَتَمَنَّ له بركةً كما لم يتمنَّ نبيٌّ من الأنبياء البركةَ للشيطانِ ولم يبرئه أحد منهم من اللعنة. غير أنه ينبغي ألا تستعجل في اللعن على أحد، لأن كثيرًا من الظن كذب وكثيرًا من اللعنات تعود على صاحبها نفسه. اتخذوا كل خطوة بحذر شديد، وتحرَّوا الأمر جيدًا قبل الـــشروع

في أيّ عمل، واستعينوا بالله لأنكم عميان، كي لا تحسبوا العادل ظالمًا والصادق كاذبًا، فتُسخطوا ربكم وتحبطَ أعمالكم كلها.

وكذلك قيل في الإنجيل: لا تعملوا الصالحات قدّام الناس رياءً، ولكنّ القرآن يقول: لا تُخفُوا عن الناس جميع أعمالكم، بل اعملوا بعض الصالحات سرًّا إذا رأيتم أن فِعْلَها سرًّا خيرٌ لأنفسكم، واعملوا بعضها علانيةً إذا رأيتم في إظهارها خيرًا لعامة الناس، وذلك لتنالوا أجرين، وليتأسّى بأسوتكم ضعفاء الناس الذين لا يتشجعون لفعل الخيرات، فيقوموا بهذا العمل الصالح. باختصار، إن الله تعالى قد بيّن بنفسه الحكمةَ وراء قوله: ﴿سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾[٢٢]، وهي ألا تنصحوا الناس بالقول فقط، بل رغِّبوهم في الحسنات بالعمل أيضًا، لأن القول لا يؤثّر في كل مكان، أمّا القدوة فلها تأثير بليغ في أكثر الأحيان.

المقارنة بين دعاء الإنجيل ودعاء القرآن المجيد

وكذلك ورد في الإنجيل: إذا دعوتَ فادخُلْ إلى حجرتك، ولكن القرآن يعلّمك لا تُخْفِ دعاءك في كل مرة، بل ادْعُ الله تعالى جهرًا أمام الناس مع جماعة من إخوانك أيضًا، لأنه لو استجيب دعاؤك زاد إيمانهم، ورغّب الآخرين أيضًا في الدعاء والابتهال إلى الله تعالى.

---

[٢٢] البقرة: ٢٧٥

وكذلك في الإنجيل أن ادعوا بما يلي: أبانا الذي في السماوات ليتقدّسْ اسمُك، ليأتِ ملكوتُك، لتكنْ مشيئتُك كما في السماء كذلك على الأرض. خُبْزَنا كَفافَنا أَعْطِنا اليوم، وحُطَّ عنا ديونَنا كما نحطّ ديون الآخرين[٢٣]، ولا تُدخِلْنا في تجربة، لكن نجِّنا من الشرير، لأن لك المُلْكَ والقوةَ والمجدَ إلى الأبد[٢٤]. أما القرآن فيعلن أن الأرض ليست خالية من تقديس الله، بل إنه تعالى يقدَّس في الأرض أيضًا وليس في السماء فحسب، كما قال الله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْده﴾،[٢٥] وقال: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[٢٦]، أي: أن كلّ ذرة في السماء والأرض تسبّح بحمد الله وتقدّس له، وأن كلّ ما فيهما من كائن مشغولٌ في تحميده وتقديسه ﷻ، فالجبال تذكره والأنهار تذكره والأشجار تذكره، وكثير من الأبرار مشغولون بذكره، أما الذي لا يذكره بقلبه ولسانه ولا يتواضع له، فقضاءُ الله وقدره يُرغِمه على الخضوع له بأنواع البلاء والعذاب. لقد وصف كتابُ الله القرآنُ الكريم الملائكةَ بأنهم يطيعون الله غاية الطاعة، وقد ورد الوصف

---

[٢٣] الكلمات التي تحتها الخط هي ترجمة ما ورد في طبعة الكتاب المقدس الأردية التي اقتبس منها المسيح الموعود ؑ، بينما ورد في الطبعة العربية ما يلي: "واغفرْ لنا ذنوبنا كما نغفر نحن للمذنبين إلينا". (من المترجم)

[٢٤] متى ٦: ٩-١٣

[٢٥] الإسراء: ٤٥

[٢٦] الجمعة: ٢

نفسه في القرآن لكل ذرّة وكل ورقة في الأرض حيث ورد أنه ما مِن شيء إلا وهو قانتٌ له ﷻ، فيستحيل أن تسقط ورقة إلاّ بإذنه، ويشفيَ دواء إلا بإذنه، ويطيبَ غذاء إلا بإذنه، فكلٌّ شيء يخرّ على أعتابه بغاية التذلل والعبودية ويتفانى في طاعته ﷻ. إن كل ذرة من الجبال والأرض، وكل قطرة من الأنهار والبحار، وكل ورقة من أوراق الأعشاب والأشجار وكلّ جزْءٍ من أجزائها، وكل ذرة من الإنسان والحيوان، لَتعرف اللهَ وتطيعه وتنشغل في تحميده وتقديسه ﷻ، ومن أجل ذلك قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[٢٧]، أي: كما أن كل شيء في السماء يسبّح لله ويحمده، كذلك فكل ما في الأرض أيضًا يقوم بتسبيح الله وتحميده. فكيف يقال إذنْ بأن تحميد الله وتقديسه لا يتمّ في الأرض؟ من المحال أن تخرج مثل هذه الكلمة من فمِ أحدٍ من العارفين الكاملين.

الواقع أن بعض الكائنات الأرضية تطيع أحكام الشريعة، وبعضها تخضع لأحكام القضاء والقدر، وبعضها تطيع أحكام الشرع وأحكام القضاء كلتيهما. الكل متفانٍ في طاعة الله وتقديسه؛ سحابًا كان أو ريحًا أو نارًا أو أرضًا. وإذا كان بعض البشر يتمردون على أحكام الشريعة فإنهم خاضعون لقضاء الله وقدره، ولا شيء خارجٌ عن سيطرة هاتين السُلطتين، بل إن عُنق الجميع واقعٌ تحت نِير إحدى هاتين الحكومتين

---

[٢٧] الجمعة: ٢

السماويتين. غير أن الغفلة والذكر الإلهي يغلبان في الأرض بالتناوب وفقًا لصلاح القلوب وفسادها، ولكن هذا المدّ والجزر لا يقعان تلقائيًا بل يحصلان بحكمة الله ومصالحه، لقد أراد الله أن يقع ذلك في الأرض فوقع. فالهداية والضلال يتناوبان وفق ناموس الله وبإذنه كتناوب الليل والنهار، وليس من تلقائهما. فمع أن كل شيء يسمع نداءه ويقوم بتقديسه، إلا أن الإنجيل يقول إن الأرض خالية من تقديس الله، وقد أشيرَ إلى سبب ذلك في الجملة التالية من الدعاء الإنجيلي، وهو أنّ ملكوت الله لم يأت في الأرض بعد، فبسبب انعدام ملكوته على الأرض -وليس لسبب آخر- لم يمكن تنفيذ مشيئته تعالى فيها كما هي نافذة في السماء. أما تعليم القرآن فهو خلاف ذلك تمامًا، فإنه يقول صراحة إنه ليس بوسع سارقٍ أو سفّاكٍ أو زانٍ أو كافرٍ أو فاسقٍ أو باغٍ أو أي من المجرمين أن يقترف أيّةَ سيّئة على الأرض ما لم يُخيَّر مِن فوق السماء. فكيف يقال إذن بأن ملكوت الله ليس على الأرض؟ فهل هناك سلطة أخرى مخالفة تحول دون نفاذ أوامر الله في الأرض؟ سبحان الله! كلاّ، ليس الأمر كذلك.

الحق أن الله تعالى نفسه قد جعل للملائكة في السماء ناموسًا، وجعل للبشر في الأرض ناموسًا آخر. إنه لم يعط الملائكة أيَّ خيار في ملكوته السماوي، وإنما فطَرهم على الطاعة والإذعان، فهُمْ لا يقدرون على العصيان أصلاً، ولا يمكن أن يطرأ عليهم سهوٌ ونسيان، أما فطرة

الإنسان فقد خُيِّرت بين القبول والإنكار، وبما أن الإنسان قد مُنح هذا الخيارَ من فوق، فلا يمكن القول بأن ملكوت الله يختفي من الأرض بسبب وجود إنسان فاسق، بل الحق أن المُلك لله فقط في كل حال، كل ما في الأمر أن ثمة ناموسين؛ ناموس القضاء والقدر الخاص بملائكة السماء، وهو أنهم لا يقدرون على المعصية البتةَ، وناموس القضاء والقدر الخاص بالبشر على الأرض، وهو أنهم قد خُيِّروا من السماء في اقتراف المعصية، غير أنهم إذا استعانوا بالله أي استغفَروه، فيمكن أن يزول ما بهم من ضعف بتأييد من روح القدس، فيجتنبوا ارتكاب المعصية، كما يجتنبها أنبياء الله ورسله. أما الذين يرتكبون المعاصي فينفعهم الاستغفار من حيث إنهم يُعصمون من مغبّة الذنوب، أي من العذاب، لأن بقاء الظلام بعد مجيء النور محال. وأما المجرمون المصرّون على الجريمة الذين لا يستغفرون الله، أي لا يلتمسون منه القوة، فهم لا ينفكّون يعاقَبون على جرائمهم. انظروا، كيف حلّ الطاعون بالأرض في هذه الأيام عقابًا للناس، وأخذ يفتك بالذين يتمردون على الله تعالى، فكيف يقال إذنْ إن ملكوت الله ليس في الأرض؟

لا يخطرنّ ببالكم أنه إذا كان ملكوت الله موجودًا في الأرض حقًّا فكيف يرتكب الناس الجرائم؟ ذلك أن الجرائم أيضًا تندرج تحت ناموس قضاء الله وقدره. إذا كان الناس يخرجون عن ناموس الشريعة، فليس بمقدورهم أن يخرجوا عن الناموس التكويني، أي ناموس القضاء والقدر،

فكيف يصح إذنْ القول إن المجرمين ليسوا خاضعين للسلطة الإلهية؟ انظروا، كيف تقع في الهند البريطانية حالات كثيرة من السرقة والقتل، كما يوجد بها زناة وخوَنة ومرتشون وغيرهم من المجرمين، ومع ذلك لا يمكننا القول بأن هذا القطر ليس خاضعا للحكومة البريطانية. كلا، إن السلطة موجودة، ولكنّ الحكومة لم ترَ من المناسب أن تسنّ قانونًا صارمًا قاسيًا تجعل هيبتُه الحياةَ صعبة على الناس، وإلاّ فإن الحكومة لو أرادت ردع جميع محترفي الجرائم عن جرائمهم بإلقائهم في سجون قاسية مؤلمة، لردعتْهم عنها بكل سهولة، أو لو وَضعتْ عقوباتٍ رادعة في القانون لأمكن القضاء على هذه الجرائم. فبإمكانكم أن تدركوا بذلك أن تعاطي الناس الخمرَ وتزايُدَ عدد المومسات وحوادث السرقة والقتل في هذا البلد[٢٨] لا يعني مطلقا أن الحكومة البريطانية لا تحكم هذه البلاد، إنما السبب في زيادة الجرائم هو التساهل في قانون الحكومة، وليس أن الحكومة فقدت سيطرتها على البلد، بل الحق أن الحكومة تملك سلطة إيقاف الجرائم بجعل القانون أشدّ صرامة وبسنِّ عقوبات قاسية رادعة. وإذا كان هذا هو حال حكومة البشر التي لا تساوي أمام مملكة السماء شيئا، فما بالك بسلطة المملكة الإلهية وقدرتها؟! فلو شدّد الله ناموسه اليوم بحيث تنزل الصاعقة على كل زانٍ، ويصاب كل سارق بداءٍ تتآكل به يداه وتتساقطان، ويهلك بالطاعون كل عنيد جاحد بالله

[٢٨] المراد هنا بلاد الهند. (من المترجم)

وبدينه، لصار أهل الدنيا كلهم صالحين خلال أسبوع واحد. فالحق أن ملكوت الله لموجود في الأرض، ولكن الرفق في الناموس السماويّ قد أطلق لهم الحرّية بحيث لا يؤخذ المجرمون عاجلاً. غير أن العقوبات أيضًا تنزل من حين لآخر، فتقع الزلازل، وتسقط الصواعق، وتنفجر البراكين كألعاب نارية لتُهلِك آلاف النفوس، وتغرق السفنُ، ويلقى المئات مصرعهم في حوادث القطارات، ويحدث أنواع الطوفان، وتتهدم البيوتُ، وتلدغ الحيات، وتفترس الوحوش، وتتفشّى الأوبئة، فليس هناك طريق واحد بل ألوف من طرق الإفناءِ التي قد خلقتها النواميس الإلهية لعقاب المجرمين. فكيف يقال إذًا أن **ملكوت الله ليس** في الأرض. الحق أن ملكوته موجود على الأرض، وأن أيدي كل مجرم مغلولة، وأرجل كل عاص مكبّلة بالسلاسل، ولكن الحكمة الربانية قد جعلتْ قانونها ليّنًا بحيث لا تعمل تلك الأغلال والسلاسل عملها بعجلةٍ، ولكن حينما لا يرتدع المجرم عن جرمه فإنها توصله في النهاية إلى الجحيم الأبدي، وتلقيه في عذاب لا يموت فيه ولا يحيا.

باختصار، هنالك **ناموسان**: الناموس الأول يخصُّ الملائكة.. أي أنّهم لم يُخلقوا إلا ليطيعوا، وطاعتهم إنما هي ميزة من ميزات الفطرة النيّرة، فهم لا يقدرون على الإثم، غير أنهم لا يقدرون على الترقيّ في الصلاح أيضا. والناموس **الثاني** يخصُّ البشر، أي: أنهم مفطورون على القدرة على الإثم، غير أنهم يقدرون على الترقيّ في الصلاح أيضا. ولا تبديل

لهذين الناموسين الفِطْريين، فكما أن الملاك لا يمكنه أن يتحوَّل إنسانًا، كذلك لا يمكن للإنسان أن يتحوَّل ملاكًا. فهذان الناموسان أزليّان لا يتغيران، ومن المحال أن يحلّ ناموسُ السماء بالأرض، أو يعمل ناموسُ الأرض بشأن الملائكة. إذا انتهت خطيئات الإنسان **بالتوبة** فإنها تجعله أفضل من الملائكة، لأن الملائكة ليس مِن فطرتها التقدم والرقيّ، أما الإنسان فتُغفَر له ذنوبه بالتوبة. لقد زوّد الله تعالى بحكمته بعض الناس بالقدرة على اقتراف الخطيئات والآثام لكي يطّلعوا باقترافها على ضعفهم، ثم يتوبوا فيُغفر لهم. هذا هو الناموس الذي وُضع للبشر، وهذا ما تقتضيه فطرتهم أيضًا. إنّ السهو والنسيان من فطرة الإنسان، لا من فطرة الملائكة، فكيف يمكن إذنْ أن يسري على البشر الناموسُ الخاص بالملائكة؟ إنّ نسبة الضعف إلى الله تعالى خطأٌ، فما يجري في الأرض ليس إلا نتائج الناموس الإلهي المشار إليه. أكان الله ضعيفًا -والعياذ بالله- بحيث انحصر ملكوتُه وقدرته وجلاله في **السماءِ فقط**، أم أن للأرض إلهًا آخر احتلّها احتلالَ العدوّ؟

ثم لا يليق بالنصارى أن يصرّوا على قولهم إن ملكوت الله قائم في **السماءِ فقط**، ولم يقُمْ بعدُ في الأرض، ذلك أنهم يعتقدون أنّ السماءَ ليست بشيءٍ، فما دامت السماءُ ليست بشيء حتى يكون فيه ملكوت الله، وما دام ملكوت الله لم يقُمْ في الأرض بعدُ، فهذا يعني أن ملكوته ليس قائمًا في أي مكان.

هذا، وإننا نشاهد ملكوت الله على الأرض بأم أعيننا، فوفقًا لناموسه ﷻ تنقضي أعمارنا، وتتغير حالاتنا، ونذوق ألوانًا من الراحة والألم، وبأمره يموت آلاف البشر ويُولَد الآلاف، وتستجاب الدعوات، وتظهر الآيات، وبأمره تعالى تُنبت الأرض صنوف النبات وأنواع الثمار والأزهار. هل يقع ذلك كله من دون أن يكون ملكوت الله قائمًا في الأرض؟ كلا، بل الحق أنه فيما يتعلق بالسماء فأجرامها سائرة على صورة واحدة ومنوال واحد، ولا يتراءى لنا فيها أيُّ تغيُّرٍ أو تبدُّلٍ يدلّ على وجود مغيِّر أو مبدِّل، أما الأرض فلا تزال تقع فيها آلاف التغيرات والانقلابات والتحولات، ففي كل يوم يرحل ملايين البشر من الدنيا، ويولد الملايين، ونلمس في الأرض تصرُّفًا تامًّا لصانعٍ مقتدر في كل الشؤون ومن كل النواحي. أفلم يقُمْ ملكوت الله في الأرض بعدُ؟

ثم إنّ الإنجيل لم يقدّم برهانًا على عدم مجيء ملكوت الله في الأرض حتى الآن، غير أنّ ابتهال المسيح عليه السلام ودعاءه لنجاته في البستان طول الليل وعدم استجابة الله له وعدم قدرته على إنقاذه - بحسب ما ورد في العبرانيين ٥: ٧- قد يكون في زعم المسيحيين برهانًا على أن ملكوت الله لم يكن قائمًا يومئذٍ على الأرض. أما نحن فقد واجهْنا ابتلاءات أشدّ من ذلك، **ونجونا منها** كلها، **فكيف ننكر** ملكوت الله على الأرض.

فهل كانت قضية القتل التي رفعها عليَّ القسيسُ "مارتن كلارك" في محكمة "القبطان دوغلاس" من أجل قتلي أخفَّ من القضية التي رفعها اليهود ضد المسيح عليه السلام في محكمة "بيلاطس"، وكانت بسبب اختلافٍ دينيٍ فقط، لا بتهمة القتل؟ فقد أنبأني الله – وهو ملِك الأرضِ كما هو ملِكُ السماء- عن هذه القضية سلفًا وأخبرني أن هذا الابتلاء آتٍ، ثم نبّأني أنه سيُبرّئني منها، فنشرتُ تلك النبوءة بين مئات الناس قبل تحقُّقها، وبالفعل قد صدر الحكم ببراءتي في نهاية الأمر. فالحق أن ملكوت الله هو الذي خلّصني من هذه القضية المرفوعة عليّ بتواطؤ المسلمين والهندوس والنصارى جميعًا.

وكذلك فقد شاهدتُ ملكوتَ الله على الأرض لا مرة واحدة بل عشرات المرات حتى لم أجد بدًّا من الإيمان بقوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والْأَرْضِ﴾[29].. أي أنّ ملكوت الله قائم في الأرض وفي السماء أيضا، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[30]، أي: أنَّ الأرض والسماوات كلها طائعات له، وإذا أراد أمرًا فكل ما يفعله أنه يقول "كُنْ" فيكون على الفور، وبقوله تعالى:

---

[29] الحديد : ٣

[30] يس : ٨٣

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٣١].. أي أن الله غالب على تنفيذ إرادته ولكن أكثر الناس يجهلون مدى قهره وجبروته.

باختصار، ذلك هو دعاءُ الإنجيل الذي يُقنِط الناس من رحمة الله ويجرِّئ المسيحيين على ربوبيته وفيوضه وجزائه، ويعلن أن الله ﷻ غير قادر على إغاثة عباده في الأرض ما لم يقُمْ فيها ملكوتُه. أما الدعاء الذي علّم الله المسلمين في القرآن مقابل الدعاء الإنجيلي فيقول إن الله تعالى ليس عاطلا في الأرض كالملِك الذي يطاح بعرشه، بل إن ربوبيته ورحمانيته ورحيميته ومجازاته لَجاريةٌ في الأرض، وأنه قادرٌ على نصرة الذين يعبدونه، وعلى إهلاك المجرمين بغضبه. وذلك الدعاء القرآني هو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ آمين.. أي: أن الله وحده حقيقٌ بجميع المحامد؛ بمعنى أنه لا عيب في ملكوته، وليست هنالك صفة من صفاته هي معطلة اليوم وستتفعل غدًا، وليس من لوازم ملكوته شيء معطل. هو الذي يُربّي العالمين جميعًا، ويرحم دون مقابل، كما يرحم مقابل الأعمال. هو الذي يجازي ويعاقب في حينه. إياه نعبد، ومنه وحده نطلب العون، وإياه ندعو ليهديَنا سبل النعم كلها، ويجنِّبنا سبل الغضب والضلال.

---

[٣١] يوسف : ٢٢

هذا الدعاء الوارد في سورة الفاتحة قد جاء على عكس دعاء الإنجيل تمامًا؛ ذلك أنّ الإنجيل ينكر وجود الملكوت الإلهي في الأرض في الوقت الراهن، فبحسب الإنجيل لا تعمل ربوبية الله في الأرض ولا رحمانيته ولا رحيميته ولا قدرته على الجزاء، إذ لم يقمْ ملكوت الله في الأرض بعد بحسب الإنجيل، بينما يتضح من سورة الفاتحة أن ملكوت الله قائم في الأرض، ومن أجل ذلك قد ذكرتْ سورة الفاتحة جميع لوازم الملكوت الإلهي. ومن البديهي أن الملِك لا بد له من الصفات التالية: الأُولى أن يكون قادرًا على تربية الناس، وقد أكّدت سورة الفاتحة على هذه الصفة بقوله تعالى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. والصفة الثانية هي أن يُؤمِّن لشَعبه نتيجةَ كرمه الملوكي كلَّ ما يحتاجونه لعمرانهم بلا أية خدمة منهم، وقد ذُكرت هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمن﴾. والصفة الثالثة هي أن يساعد الملِكُ رعاياه فيما لا يطيقون إنجازه بجهودهم وحدها، وقد أكّد هذه الصفةَ قولُه تعالى: ﴿الرَّحِيم﴾. والصفة الرابعة هي أن يكون قادرًا على الثواب والعقاب لئلا تختلّ أمور سياسة بلاده، وقد ذُكرت هذه الصفة في قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

باختصار، لقد عرضتْ هذه السورة جميع لوازم الملكوت التي تؤكد وجود ملكوت الله وتصرفاته الملكية في الأرض، فإن ربوبيته ورحمانيته ورحيميته وإعانته وعقابه وجزاءه كلها لموجودة في الأرض، فكلُّ ما كان من لوازم الملكوت متحقق لله في الأرض، وليس هناك ذرة واحدة

من الأرض هي خارجة عن نطاق حكمه، فكل جزاء بيده، وكل رحمة بيده. ولكن الإنجيل يعلّم دعاء يقول بأن ملكوت الله لم يأت فيكم بعدُ، فادعوا الله لكي يأتيكم ملكوته، مما يعني أن إلههم لم يصبح بعدُ مالِكَ الأرض ومليكَها، فماذا عسى أن نعقد على هذا الإله من آمال؟

ألا فاسمعوا وعوا، إنما العرفان الأكبر هو أن كل ذرّة من الأرض تقع في قبضة قدرة الله مثلما تقع كل ذرّة من السماء في ملكوته، وكما أن له تجلّيًا عظيمًا في السماء كذلك له تجلٍّ عظيم الشأن في الأرض. بل الحق أنّ التجلّي السماوي إنما هو أمر يدخل في الإيمانيات، إذ لم يذهب إلى السماءِ أحد من عامّة الناس ولم يشاهدوه، أمّا تجلّي ملكوت الله في الأرض فهو جليٌّ بيّنٌ يراه كل إنسان بعينيه بكل وضوح[٣٢]، فمثلا إن كلّ إنسان -مهما كان ثريًّا- يشرب كأس الموت رغمًا عن أنفه. فما أروعَه وأعظمَه مِن تجلٍّ لحُكْمِ ذلك الملِكِ الحقّ على الأرض! وإذا نزل أمر الله بموت أحد فلا يستطيع أن يؤخره عن نفسه ثانية واحدة، وإذا نزل قضاء الله وأصيبَ المرء بمرض خبيث عضال فلا يقدر أي طبيب على شفائه منه. فانظرْ كيف يتجلى ملكوت الله على الأرض حيث لا

٣٢ إن قوله تعالى ﴿وَحَمَلَها الإنْسَانُ﴾ أيضًا يدلّ على أن المطيع الحقيقي لله هو الإنسان حيث يبلغ في طاعة الله حدَّ الحبّ والعشق، ويُرسي ملكوت الله على الأرض متحمّلاً آلافَ البلايا. فأنّى للملائكة أن يقوموا بمثل هذه الطاعة الممزوجة بلوعة القلب؟ منه

يمكن ردُّ أوامره أبدًا! فكيف يصح القول بعدها بأن ملكوت الله ليس بقائم على الأرض، وإنما سيقوم في المستقبل في يوم من الأيام؟

انظروا كيف هزّ أمرُ الله السماوي الأرضَ بالطاعون في هذه الأيام ليكون آيةً لمسيحه الموعود، فمَن ذا الذي يقدر على ردّه خلافًا لمشيئته ﷻ؟ فكيف يمكن القول بعد ذلك بأن ملكوت الله لم يقم على الأرض بعدُ؟

أجل، إن الفاجر يعيش في أرض الله كالسجين، ويتمنى ألا يموت أبدًا، ولكن ملكوت الله الحق يُهلكه، فيقع في قبضة مَلَكِ الموت في نهاية المطاف؛ فكيف يقال بعدها بأن ملكوت الله لم ينزل على الأرض إلى الآن؟

ثم انظروا كيف يموت ملايين البشر في الأرض بمشيئته تعالى كل يوم ويولد الملايين الآخرون، ويصير ملايين الفقراء أثرياء بإرادته تعالى، ويُصبح ملايين الأغنياء فقراء، فكيف يُمكن القول بعدها بأن ملكوت الله لم يقم على الأرض بعدُ؟

إن السماوات لا يسكنها إلا الملائكة، أما الأرض فيسكنها الناس والملائكة الذين هم عمّال الله وخدام سلطنته وجُعلوا حفظةً على شؤون البشر المختلفة في الأرض، ويطيعون الله كل حين ويرفعون إلى الله تعالى تقاريرهم دومًا؛ فكيف يقال بعدها بأن ملكوت الله ليس في الأرض؟ الحق أن ملكوت الله على الأرض هو السبب الأكبر لمعرفة الله، ذلك أن

الجميع يظنّ أن سرّ السماء مكتوم غير مشهود، حتى إن معظم المسيحيين المعاصرين وفلاسفتهم ينكرون أصلاً وجودَ السماوات التي اعتبرتها الأناجيل دعامةَ ملكوت الله، أما الأرض فهي كرةٌ تحت أقدامنا في واقع الأمر، وتظهر على سطحها آلاف من شؤون القضاء والقدر الإلهي، مما يدلّ صراحةً على أن كل هذا التغير والتحول والحدوث والفناء إنما يقع بأمرٍ من مليكٍ معيّن. فكيف يمكن القول بعدها بأن ملكوت الله لم يقمْ في الأرض بعدُ؟ الحق أن مثل هذا التعليم الإنجيلي لَبعيدٌ عن الصواب كل البعد لا سيّما في وقتٍ يجحد فيه المسيحيون بوجود السماوات بكل شدة، ذلك لأن الإنجيل قد اعترف في هذا الدعاء بأن ملكوت الله غير موجود في الأرض من جهة، ومن جهة أخرى قد سلَّم جميع المحققين المسيحيين من الصميم بناءً على بحوثهم الحديثة أن السماوات ليست بشيء ماديّ، وليس لها مِن وجود البتة، فالنتيجة النهائية أنْ ليس لله ملكوتٌ في الأرض ولا في السماء. أما السماوات فقد أنكر وجودها المسيحيون، وأما الأرض فأنكر إنجيلهم وجودَ ملكوت الله عليها، وعليه فلم يبق لله ملكوت لا في الأرض ولا في السماء!

ولكنّ إلهنا ﷻ لم يذكر في سورة الفاتحة سماءً ولا أرضًا، وإنما كشف لنا الحقيقة بإخبارنا أنه **ربّ العالمين**؛ أي حيثما وجد عُمْرانٌ [٣٣]

[٣٣] انظر كَم هي جامعةٌ كلمةُ ﴿رَبِّ العالمين﴾ هذه، إذ لو ثبت يومًا وجودُ مخلوقات في الأجرام الفلكية فسوف تكون تلك المخلوقات مشمولة في هذه الكلمة. منه

ومهما يكن من مخلوق -أجسامًا كانت أم أرواحًا- فاللهُ خالقُه ومربّيه جميعًا، فهو الذي يُعنى بتربيته كل لحظة، ويدبّر له ما يلائمه. إن عملية ربوبيّته ورحمانيّته ورحيميّته ومالكيّته وجزائه تعمّ العالَمين كلَّها في كل لحظة وآن.

علمًا أن قوله تعالى ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ في سورة الفاتحة لا يعني أنّ عملية الجزاء والعقاب ستتمّ يوم القيامة فقط، كلا، بل قد صرّح القرآن المجيد مرارًا أن القيامة إنما هي موعد المجازاة الكبرى، إذ إن نوعًا من المجازاة يبدأ ويتمّ في هذه الدنيا نفسها، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[٣٤].

وجدير بالملاحظة أيضا أنه قد التُمِسَ في دعاء الإنجيل خبزُ كلِّ يوم، إذ ورد: "خُبْزَنا كفافَنا أَعْطِنا اليومَ". ويا عجبًا! كيف يستطيع مَن لم يأت ملكوته بعدُ في الأرض أن يعطي أحدًا الخبزَ؟ إذ لا تستوي الزروع وتينع الثمار بإذنه بعدُ، وإنما تستوي بنفسها تلقائيا، كما تهطل الأمطار من تلقائها، فأي سلطة عنده حتى يرزق أحدًا الخبز؟ يجب أن يُسأل الخبزَ حين يأتي ملكوته في الأرض، أما الآن **فلا سلطةَ له** على أي شيء فيها. وإنما يكون قادرا على أن يرزق أحدًا الخبزَ حين يقوم ملكوته في الأرض، لذا فلا يليق بأن يُسألَ شيئًا قبل ذلك!!

[٣٤] الأنفال : ٣٠

ثم قيل في دعاء الإنجيل: "**وحُطَّ عنا ديوننا كما نحطّ ديون الآخرين**". وهذا الدعاء أيضًا لا يستقيم إذ لم يقُمْ ملكوت الله على الأرض بعدُ، و لم يأكل النصارى شيئًا من يده، فأيّ ديون أخذوها منه؟ لذا فلا حاجة قطعًا لاستعفاء الدَين من الإله الذي هو صفر اليدين، ولا داعي للخوف منه مطلقًا، إذ لم يقمْ ملكوته في الأرض حتى الآن، ولا يمكن أن يُرعِب سوطُ حكومته أحدًا أبدًا! فليس في قدرته أن يعاقب مجرمًا أو يُهلك بالطاعون قومًا طاغين كما فعل في زمن موسى، أو يمطر عليهم حجارة كما فعل بقوم لوط، أو يبيد العصاةَ بزلزال أو صاعقة أو بعذاب آخر، إذ **لم ينزل ملكوته على الأرض** إلى الآن! فبما أن إله النصارى ضعيف كما كان **ابنه** ضعيفًا، ومخلوع كما كان ابنه مخلوعًا، فمن العبث أن يدعوه بمثل هذه الدعوات ويقولوا: **رب أَعْفِنا من ديوننا**. متى أقرضَهم مالاً، يا ترى، حتى يُعفيهم منه؟ إذ لم يقمْ ملكوته في الأرض بعد. فما دامت سلطته ليست قائمة في الأرض حتى الآن، فهذا يعني أنَّ الأرض لا تخرج نباتها بأمره، وأنّ ما فيها ليس ملكًا له، وإنما توجد من ذاتها، لأن حُكمه ليس بقائم على الأرض. وما دام ليس هو الحاكم والملِك في الأرض، وما دام لم يوجد شيء من نعمائها بإذنه الملكي، فليس له قدرة ولا حق للعقاب، لهذا فمِن **السفاهة** أن يُتَّخَذَ عاجزٌ كهذا إلهًا ويُرتجى منه اتخاذ إجراءٍ على الأرض، إذ لم يقم ملكوته فيها حتى الآن!!

ولكن دعاء سورة الفاتحة يعلّمنا أن لله **سلطانًا** في الأرض كلَّ آن كما له سلطان في سائر العالمين. وقد استهلّت سورة الفاتحة بصفات الله الكاملة الدالة على سلطته المطلقة، وهي صفات لم يذكرها أيُّ كتاب آخر في الدنيا، حيث أعلن الله تعالى فيها أنه الرحمن، والرحيم، ومالك يوم الدين. ثم حثّ عَزَّ وَجَلَّ على الدعاء، والدعاء الذي علّمه لا يقتصر على طلب خبز اليوم كما علّم المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أتباعَه، بل هو دعاء بطلب كل ما أُودِعَ الفطرةَ الإنسانية منذ الأزل من ملكات وظمأ وعطش، وهذا الدعاء هو: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: يا صاحبَ هذه الصفات الكاملة، ويا أيها الجواد الذي تتربّى وتتمتع كل ذرّة بفيضك ورحمانيتك ورحيميتك وقدرتك على الجزاء، اجعلْنا ورثةً للصالحين الذين خلوا من قبل، وأعطِنا كل نعمة أعطيتهم إياها، واحمِنا من معصيتك كيلا نكون من المغضوب عليهم، وقِنا من أنْ نُحرَم من نصرتك، فنكون من الضالّين. (آمين)

لقد تبين من هذا البحث الفرقُ بين دعاء الإنجيل ودعاء القرآن، وهو أن الإنجيل إنما يعِد بمجيء ملكوت الله فقط، أما القرآن الكريم فيعلن أنّ ملكوت الله ليس بقائم فيكم فحسب، بل إنكم تتمتّعون بفيوضه بالفعل. الإنجيل إنما يعد وعدًا، أما القرآن فلا يكتفي بمجرد وعد، بل يُري الملكوتَ الإلهي القائم وفيوضَه أيضًا. إذن فإن ما يكشف فضل القرآن أنه يقدّم ذلك الإله الذي هو **منجي الصالحين ومخلّصهم** في هذه

الحياة الدنيا نفسها، وليس ثمة نفس هي محرومة من فيوضه؛ بل إن فيوض ربوبيته ورحمانيته ورحيميته تصل إلى كل نفس حسب قدراتها. أما الإنجيل فيقدّم الإله الذي لم يأت ملكوته في الدنيا بعدُ، وإنما يَعِد به فقط. فأيُّ الإلهينِ حقيقٌ بالاتّباع عند العقل؟ ونِعْمَ ما قاله الحافظ الشيرازي في بيت شعر له:

مُرِيدِ پيرِ مَغَانَمْ زِ مَنْ مَرَنْجْ أيْ شيخ
چِرا كِهْ وَعْدَهْ تُو كَرْدِي و اُو بَجَا آوَرْدْ

أي:

يا شيخَنا دَعْ عنك عذلي   فإني لشيخ الشيوخ مريدُ
فقد أوفاني بكل الوعود   وأنت وعودك تبقى وعودُ

هذا، وقد أُثنِيَ في الإنجيل على الحلماء والفقراء والمساكين وعلى المضطَهدين الذين لا يقاومون، ولكن القرآن الكريم لا يقول بأنْ تَمَسْكنوا دائمًا ولا تقاوموا الشر أبدًا، بل يقول لا شك أن الحلم والتمسكن والفقر وترك المقاومة عملٌ حسَنٌ، ولكنه سيئ إذا كان في غير محله، لذا فاعملوا كل عمل في محلّه، لأن الحسنة التي لا تكون في محلّها تتحول سيئةً. خذوا مثلاً المطر، فكم هو نافع وضروري، ولكنه إذا كان في غير أوانه أصبح مدمّرًا جدًّا. وترون أن صحتكم تتدهور إذا استمررتم في تناول الأغذيةَ الباردة فقط أو الحارّة فقط، إنما تقوم

صحتكم إذا أكلتم وشربتم وفقًا لما يتطلبه الظرف، كذلك فإن مراعاة المحل والمصلحةِ تقتضي منكم مثلَ هذا التبدل فيما يتعلق بالشدة والرفق والعفو والانتقام والدعاء واللعنة وغيرها من الأخلاق. فكونوا ذوي حلم وخُلق من الطراز الأوّل، ولكن إياكم أن يكون ذلك في غير محله. ثم اذكروا أيضًا أن الأخلاق الفاضلة الحقيقية الخالية من أية شائبة سامّة من أهواء النفس، إنما تأتي من فوق بواسطة روح القدس، لذا فلا تستطيعون التحلّي بالأخلاق السامية بجهودكم ما لم توهَبوها من فوق. وكل من لا ينال نصيبًا من الأخلاق بالفيضان السماوي بواسطة روح القدس فهو كاذب في ادّعائه بالتحلّي بالأخلاق، ويوجد تحت مائه كثير من الحمأ والروث سيظهر عند هيجان ثوائر نفسه. فاستمِدّوا من الله القوة دائمًا لتتخلّصوا من هذا الحمأ والروث، ويُنشئ روحُ القدس فيكم الطهارة واللطافة الحقيقيتين. اعلموا أن الأخلاق الحقّة والطاهرة إنما هي معجزة الصالحين لا يشاركهم فيها أحد، ذلك لأن الذين لا يتفانون في الله، لا يتلقون القوة من فوق، لذا فمن المحال أن يتحلّوا بأخلاق فاضلة. فأَنشِئوا مع ربّكم صلةً خالصة، وتخلّوا عن السخرية والاستهزاء والحقد والبذاءة والجشع والكذب والفسق وسوء النظر وسوء الفكر وحبّ الدنيا والكِبْر والصلف والعُجب والشر والنقاش العقيم، فتنالون عندها كل ذلك من السماء. وما لم تشملكم القوة الربانية التي تأخذكم إلى فوق، وما لم يَحلّ فيكم روح القدس الذي يمنح الحياة، فإنكم ضعفاء

جدًّا ومنطرحون في الظلمة، بل أنتم كميتٍ بلا حياة، فلا تستطيعون في هذه الحالة مقاومةَ بلاء يصيبكم، ولا تقدرون على تجنُّب الكبر والزهو وقتَ الرقي والغنى، بل إنكم لمغلوبون بالشيطان والنفسِ من كل النواحي. فليس لكم في الحقيقة إلا علاج واحد؛ وهو أن يوجّه روحُ القدس -الذي لا ينزل إلا بأمر الله- وَجْهَكم نحو البر والصلاح. كونوا أبناء السماءِ لا أبناء الأرض، وكونوا ورثة النور لا هُواةَ الظلام، لكي تأمَنوا دروبَ الشيطان، لأن الشيطان يهمُّه الليلُ دومًا، ولا شأن له بالنهار، فهو لِصٌّ قديم يأتي في الظلام.

نبأ مجيء المسيح الموعود في القرآن المجيد

واعلم أن سورة الفاتحة ليست مجردَ تعليم فحسب، بل إنها تتضمن أيضًا نبوءةً عظيمة بيانها أن الله تعالى قد ذكر أولاً صفاتِه الأربع: الربوبية والرحمانية والرحيمية ومالكية يوم الدين -أي ذكَر قدرته على الثواب والعقاب، وقدرتَه العامة- ثم علّمنا في الآيات التالية دعاء: ربّنا اجعلْنا ورثةَ الأبرار السابقين من الأنبياء والرسل، واهدنا إلى صراطهم، وأعطنا ما أعطيتَهم من النعم، واحفظْنا ربَّنا من أن نكون من الذين حلّ بهم عذابُك في الدنيا.. أي اليهود الذين كانوا في زمن المسيح عليه السلام وأُهلكوا بالطاعون، واحفظْنا ربَّنا من أن نكون من القوم الذين تركوا هُداك فضلّوا، أي النصارى. وهذا الدعاء يحتوي على نبوءة بأنه سيكون

من المسلمين مَن يرثون الأنبياء الأولين ببركة صدقهم وصفائهم ويحظون بنعم النبوّة والرسالة، وسيكون منهم أيضًا مَن يتّصفون بصفات اليهود فينـــزل عليهم العذابُ في الدنيا، وسيكون منهم مَـــن يرتَـــدُون رداءَ المسيحية، ذلك لأنه من السنّة المتّبعة في كلام الله أنه إذا نهى قومًا عـــن عمل، فهذا يعني أنه تعالى يعلم أن بعضًا منهم سيقعون فيه حتمًا، وبعضًا منهم سينالون حظًّا من البرّ والسعادة. إنه لمن سنة الله القديمة في جميـــع الكتب التي أنزلها منذ بداية الخلق حتى اليوم أنه عندما ينهى قومًا عـــن عمل أو يرغّبهم في عمل فإنه يعلم أن بعضهم ســـيقوم بهـــذا العمـــل وبعضهم لن يقوم به. إذن فهذه السورة تـــنبّئ بأن شخصًا من هـــذه الأمة سيظهر بمظهر الأنبياء بشكل كامل لِتتحقّقَ النبوءةُ المستنبَطة مـــن قوله تعالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ على أكمل وجهٍ وأتمّـــه. وأنّ فريقًا من هذه الأمة سيظهرون بمظهر اليهود الذين لعنهم عيـــسى عليه السلام وحلّ بهم عذاب الله، وذلك لتتحققَ النبوءة المستنبَطة من قولـــه تعـــالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وأن فريقًا منهم سيتـــنصّرون ويـــصطبغون بصبغة المسيحيين، الذين أصبحوا محرومين من هداية الله من جراء شُربهم الخمرَ والإباحية والفسق والفجور، وذلك لتتحقق النبوءة المستنبَطة من قوله تعالى ﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾.

ولما كان من معتقدات المسلمين أن آلافًا مؤلّفة ممن يُدعَون مـــسلمين سيتّصفون بصفات اليهود في الزمن الأخير –وهذه النبوءة قد تنبأ بهـــا

القرآن المجيد أيضًا في مواضع عديدة- ولما كان تنصُّر آلاف المسلمين أو اتخاذُهم حياةَ الإباحة والتحرر مثل النصارى قد أصبح أمــرًا مــشهودًا وملموسًا، حتى ترى كثيرًا منهم يحبّون تقليد المــسيحيين في أســلوب الحياة، وينظرون إلى الصلاة والصوم وأحكام الحلال والحرام باحتقــار كبير مع انتمائهم إلى الإسلام، وتجدون هاتين الفئتين المتصفتين بصفات اليهود والنصارى في هذه البلاد بكثرة، فثَبَتَ أنكم قد رأيتم تحقُّقَ هاتين النبوءتين الورادتين في سورة الفاتحة، إذ رأيتم بأم أعينكم كــثيرًا مــن المسلمين قد اتصفوا بصفات اليهود وكثيرا منــهم اصــطبغوا بــصبغة النصارى، وما دام الأمر كذلك فلا بد لكم الآن من الإقــرار بتحقُّــق النبوءة الثالثة، أعني أنه كما نال المسلمون نــصيبًا مــن شــر اليهــود والنصارى باتصافهم بصفاهم، كذلك كان لزامًا أن يتبوّء أفراد منــهم المقام الذي بلغه الأبرار الذين خلوا من قبل في بني إسرائيل. فمِن ســوء الظن بالله تعالى أنه قد جعل أبناء أمة الإسلام شركاء اليهود والنصارى في شرهم حتى سماهم يهودًا أيضًا، ولكنه لم يعطهم شيئًا مــن مراتــب رسلهم وأنبيائهم! فكيف تكون هذه الأمة إذنْ خيرَ الأمم؟ كلا، بــل تكون عندها شرّ الأمم، إذ وُجد فيها كل نموذجٍ من شرّ الأولــين و لم يوجد فيها أي نموذج لخيرهم. أفليس ضروريا -يا ترى- أن يأتي بــين هذه الأمة أيضًا أحد بحُلَّةِ الأنبياء والرسل ويكونَ وارثًا وظلاً لأنبياء بني إسرائيل كلهم؟ فمن المستبعَد من رحمة الله تعالى أن يجعل الملايين مــن

هذه الأمة في هذا الزمن يتّصفون بصفات اليهود ويجعل مئات الآلاف منها يتنصّرون، ولكن لا يجعل حتى شخصًا واحدًا منها يرث الأنبياء السالفين ويفوز بالنعمة التي فازوا بها، وذلك لكي تتحققُ النبوءةُ المستنبَطة من قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، كما تحققت نبوءة التهوُّد والتنصُّر. لَمّا كانت هذه الأمة قد لُقِّبت بآلاف الألقاب القبيحة -حتى قُدِّر لأبنائها أن يصبحوا يهودًا كما هو ثابت من القرآن والأحاديث- فكان من مقتضى فضل الله تعالى أن يرثوا الخير أيضًا، كما ورثوا السيّئات من النصارى السابقين. ومن أجل ذلك قد بشّر الله تعالى في قوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في سورة الفاتحة بأن بعض أفراد هذه الأمة سينال ما أُنعِم به على الأنبياء السابقين، وليس أنهم يتهودون أو يتنصرون فحسب ويرثون سيّئات هاتين الملتين ولن يرثوا حسناهما!

وإلى الأمر نفسه قد أشار الله سبحانه وتعالى في سورة التحريم إذ قال في حق بعض أفراد هذه الأمة إنهم سيشابهون مريم الصِّدّيقة التي أحصنت فرجَها فنُفِخ في رحمها روحُ عيسى، فوُلِدَ منها عيسى. إن في هذه الآية إشارة إلى أنه سيكون في هذه الأمة رجلٌ يُعطى أولاً درجة مريم، ثم يُنفخ فيه روح عيسى، فيخرج عيسى من مريم هذه، بمعنى أن هذا الرجل ينتقل من صفاته المريمية إلى صفاته العيسوية، فكأن صفته المريمية ستنتج فيه الصفة العيسوية، فيسمى ابنَ مريم على هذا النحو، وذلك كما سُمِّيتُ

أنا أوّلاً مريم في "البراهين الأحمدية" في الصحفة ٢٤١ في الإلهام: **"أَنَّى لَكَ هذا"**؟ أي يا مريم مِن أين نلت هذه النعمة؟ وإلى هذا الأمر نفسه إشارة في الإلهام: **"هُزَّ إليكَ بجذعِ النخلة"** الذي ورد في الصفحة ٢٢٦. ثم هناك إلهام آخر ورد في الصحفة ٤٩٦ من "البراهين الأحمدية": **"يا مريمُ اسْكنْ أنت وزوجُكَ الجنةَ. نفَختُ فيكَ من لدُنِّي رُوحَ الصِّدقِ"**.. أي: يا مريم ادخلْ أنت مع رفقائك الجنّة. لقد نفختُ فيك مِن عندي روح الصدق. لقد سمّاني الله هنا "روحَ الصدق"، وقد جاء ذلك إزاءَ الآية القرآنية: ﴿**فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا**﴾ [٣٥]، ففي قضيتي أيضًا قد حلّتْ في بطن مريم -استعارةً- روحُ عيسى التي سُميتْ روح الصدق.

وأخيرًا ورد في الصحفة ٥٥٦ من "البراهين الأحمدية" إلهام يخبر بولادة عيسى الذي كان في بطن مريم هذه حيث جاء: **"يا عيسى إني متوفِّيك ورافعُك إليّ[٣٦] وجاعلُ الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة"**. فقد سُمِّيتُ هنا عيسى حيث كشف هذا الإلهام أن عيسى الذي ذُكر نفخُ روحِه في مريم هذا في الصفحة ٤٩٦ قد تولد، وبهذا

[٣٥] التحريم: ١٣

[٣٦] مشيرًا إلى هذا الوحي الوارد في ص ٥٥٦ من الجزء الرابع من البراهين الأحمدية، كتب المسيح الموعود عليه السلام في الجزء الخامس من "البراهين الأحمدية" أنه قد سقطت بسهو الكاتب من هذا الوحي عبارة: "ومطهّرك من الذين كفروا". انظرْ البراهين الأحمدية، الجزء ٥، الخزائن الروحانية مجلد ٢١ ص ٧٣ الحاشية. (المترجم)

الاعتبار دُعيتُ عيسى بن مريم؛ لأن صفتِي العيسوية إنما تولّدتْ من صفتِي المريمية بنفخ من الله تعالى. انظروا الصفحة ٤٩٦ والصفحة ٥٥٦ من "البراهين الأحمدية".

وهذا هو الأمر الذي قد ذُكر بصراحة تامة في سورة التحريم على سبيل نبوءة، حيث أخبر الله تعالى بأن عيسى بن مريم سيتولّد في هذه الأمة على هذا النحو، بمعنى أن فردًا من أفرادها سيُجعل "مريم" أوّلاً، ثم بعد ذلك يُنفخ في "مريم" هذا روحُ عيسى، ثم يتربّى في رحم حالته المريمية برهةً من الزمان ويتولد متحليًا بروحانية عيسى، وبذلك سيُدعى عيسى بن مريم.

هذا هو ذلك النبأ الذي جاء بشأن ابن مريم المحمدي في القرآن المجيد.. أعني في سورة التحريم.. قبل ألف وثلاثمئة سنة من هذا الزمن، ثم فسّر الله تعالى آيات سورة التحريم هذه في "البراهين الأحمدية". القرآن المجيد موجود عندكم، فضعوا معه "البراهين الأحمدية"، ثمّ تدبّروا بالعدل والعقل والتقوى وانظروا كيف تحققت بكلّ جلاءٍ النبوءةُ الواردة في سورة **التحريم** من خلال الإلهامات الورادة في **"البراهين الأحمديّة"**، أعني: أن فردًا من هذه الأمة أيضًا سيُدعى مريم، ثم مِن مريم يصبح عيسى، فكأنه يُولَد منها. أذلك كله في قدرة الإنسان؟ أم كنتُ قادرًا على فعل ذلك؟ أم كنتُ موجودًا وقت نزول القرآن المجيد حتى ألتمس من الله تعالى أن يُنزل آيةً لكي أُجعَل ابنَ مريم حتى تتبَرَّأَ ساحتي من

اعتراض من يقول: كيف تُدعى ابن مريم؟ وهل كان ممكنًا لي نسجُ هذه الخطة قبل عشرين سنة بل أكثر؟ أعني أن أختلق من عندي إلهامًا وأسمي فيه نفسي مريم، ثم بعد فترة أفتري إلهامًا آخر بأنه قد نُفِخَتْ فيَّ روحُ عيسى كما نُفختْ في مريم في الماضي، ثم أخيرًا أكتبَ في الصفحة ٥٥٦ من "البراهين الأحمدية" أنني قد تحوّلتُ الآن من مريم إلى عيسى.

أيها الأعزّة، فكِّروا وخافوا الله! فهذا ليس من فعل الإنسان أبدًا. إنّ هذه الحِكَم الإلهية الدقيقة اللطيفة تفوق فَهْمَ الإنسان وقياسَه. لو كانت هذه الخطة ببالي وقت تأليف "البراهين الأحمديّة" -الذي قد مضى على صدوره زمان- لما كتبتُ في "البراهين الأحمديّة" نفسه أن عيسى المسيح ابن مريم سينزل من السماءِ ثانية. فبما أن الله تعالى كان يعلم أنه باطّلاعي على هذا الأمر سيضعف هذا الدليل، فلم يُطلِعني على هذا السر الخفي في زمن تأليف "البراهين الأحمدية"، مع أنه تعالى كان قد سماني مريم في الجزء الثالث من "البراهين الأحمديّة". فلم أزل أتربى وأنمو في الخفاء لمدة حولين في حالتي المريمية كما هو واضح من "البراهين الأحمديّة"، ثم بعد انقضاء عامين -كما هو مذكور في الجزء الرابع من "البراهين الأحمديّة" الصحفة ٤٩٦- نُفختْ فيَّ روح عيسى كما نُفختْ في مريم، ووُصفتْ حاملاً على سبيل الاستعارة، وأخيرًا بعد عدة أشهر -لا تتجاوز عشرةً- جُعلتُ عيسى بن مريم من خلال الإلهام المسجل في آخر "البراهين الأحمديّة".. أي الجزء الرابع منه وفي الصفحة ٥٥٦،

فصرتُ ابنَ مريم على هذا النحو. فمع أن الوحي الإلهي المشتمل على هذا السر قد نزل عليّ وقد سجّلتُه في "البراهين الأحمديّة" في حينه، إلا أن الله تعالى لم يُطْلِعني على معانيه وعلى هذا الترتيب وقتَ تأليف "البراهين الأحمديّة"، ومن أجل ذلك كتبتُ في "البراهين الأحمديّة" عقيدة المسلمين التقليدية بشأن نزول المسيح عليه السلام، ليكون ذلك شاهدًا على بساطتي وعدمِ احتيالي. وإنّ ما كتبتُه آنذاك – ولم يكُنْ وحيًا، وإنما كان تقليدًا محضًا- لا يصلح لأن يكون حجةً للمخالفين، لأني لا أدَّعي معرفة الغيب إلا ما يكشفه اللهُ لي منه. فكان من مقتضى الحكمة الإلهية عندها أن لا أفهم بعض الأسرار الكامنة في الوحي الوارد في "البراهين الأحمديّة"، ولكنه عندما آن الأوان فهّمني الله حقيقة تلك الأسرار كلها. عندها أدركت أنه ليس في دعواي بكوني أنا المسيح الموعود شيء جديد، وإنما هي الدعوى نفسها التي سبق أن سُجّلتْ في "البراهين الأحمديّة" بصراحة مرة بعد أخرى.

وإني أسجّل هنا إلهامًا آخر لا أتذكر ما إذا كنت قد نشرتُه من قبل في كتيب أو إعلان أم لا، غير أني أتذكر أني قد ذكرتُه أمام مئات الناس وهو لا يزال موجودًا في إلهاماتي المسجّلة في مذكّرتي، وقد تلقيتُه في الزمن الذي لقّبني الله فيه أولاً "مريم" ثم أنزل عليّ الإلهام المتعلق بنفخ الروح، ثم بعدهما أوحيَ إلي ذلك الإلهام ونصّه: **"فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، قالت يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا"**، أي:

جاء المخاض بمريم -أي بهذا العبد- إلى جذع النخلة، بمعنى أنها واجهتْ العامةَ والجهلاء والمشايخ الأغبياء الذين لم تكن لديهم ثمرة الإيمان، فقابلوها بالتكفير والإهانة والشتم والضجّة، فقالت مريم: **"يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًّا"**. وهذا إشارةٌ إلى تلك الضجة التي أثيرت ضدي في أول أمري من قِبل المشايخ كلهم، إذ لم يطيقوا احتمال هذه الدعوى، فأرادوا إفنائي بكل حيلة، وقد صوّر الله تعالى بهذه الكلمات ما حلّ بقلبي عندها من كرب وقلق من ضوضاء الجهلاء وشغبهم.

وثمة إلهامات أخرى تلقيتُها في هذا الموضوع، مثل: **"لقد جئتِ شيئًا فريًّا. ما كان أبوكِ امْرَأَ سَوءٍ وما كانت أُمُّكِ بَغِيًّا."** وهناك إلهام مماثل آخر في "البراهين الأحمديّة" وهو: **"أليسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ. ولِنجعلَه آيةً للناس ورحمةً مِنَّا وكان أمرًا مقضيًا. قولَ الحقِّ الذي فيه تَمْتَرونَ."** (انظروا البراهين الأحمديّة الصحفة ٥١٦ السطرين ١٢،١٣). أي: قال أناس: يا مريم لقد ارتكبت عملاً منكرًا بعيدًا عن الصلاح، ما كان أبوك[٣٧] ولا أمُّك فاسدين هكذا. ولكن الله سيبرّئ عبده من تلك التُّهم

[٣٧] تذكرتُ بشأن هذا الإلهام أنه كان في "بطالة" شخص من "الأشراف" اسمه فضل شاه أو مهر شاه، وكان يكنّ لوالدي حبًّا كبيرًا، وكان شديد الصلة به، فلما أخبره أحد بأني قد ادعيتُ أني أنا المسيح الموعود، بكى كثيرًا وقال: كان أبوه صالحًا جدًّا، بمعنى أننا لا ندري ممن ورث هذا الشخص خصلة الافتراء، إذ كان أبوه بارًّا ومسلمًا مستقيمًا نقيّ القلب بعيدًا عن أعمال الافتراء. وكذلك قال لي الكثيرون: لقد وصمتَ أسرتَك بوصمة عار بهذا الادّعاء. منه

كلها، وسيجعله آيةً للناس وكان ذلك أمرًا مقضيًا من البدء وكان لا بد أن يقع هكذا. هذا هو عيسى بن مريم الذي يرتاب الناس فيه، وهذا هو قول الحق.

وكل هذا قد ورد في "البراهين الأحمديّة". والحق أن إلهاماتي هذه إنما هي آيات قرآنية وردت في حق عيسى وأُمّه عليهما السلام. وعيسى الذي ورد عنه في هذه الإلهامات أن الناس اعتبروا ولادتَه غير شرعية هو نفسه الذي أعلن الله ﷻ عنه أننا سنجعله آية للناس ورحمةً منا، وهو عيسى نفسه الذي كانوا ينتظرونه، فأنا المراد من مريم ومن عيسى المذكورين في الإلهامات التي تلقيتها، وأنا الذي قيل عنه هنا: **"نجعله آية للناس ورحمة منا"، وأ**نا عيسى بن مريم الموعود نزوله، والذي يشك فيه الناس. هذا هو الحق وهذا هو الموعود مجيئه، إذ ما هذا الشك إلا وليد قلة الفهم، وإن الذين لا يدركون أسرار الله ويتشبثون بظاهر الكلمات لا يبصرون الحقيقة.

ولا يغيبنّ عن البال أن من المقاصد العظيمة لسورة الفاتحة دعاءُ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فكما أنه قد سُئل الخبز في دعاء الإنجيل، فقد سئل في دعاءِ الفاتحة جميعُ تلك النعم التي أوتيَها الرسل والنبيّون الأوّلون. وهذه المقارنة هي الأخرى لجديرة بالملاحظة؛ فكما أن **المسيحيين نالوا كثيرًا من أسباب الخبز** نتيجة استجابة دعاء المسيح عليه السلام، كذلك **قد جُعل** أخيار المسلمين وأبرارهم

وخصوصًا الكُمّل منهم ورثةَ أنبياء بني إسرائيل **نتيجة** استجابة هذا الدعاء القرآني بواسطة النبي ﷺ. والحق أن تولُّد المسيح الموعود من بين هذه الأمة هو الآخر نتيجة استجابة هذا الدعاء، ذلك أنه مما لا شك فيه أن كثيرًا من أخيار هذه الأمة وأبرارها قد نالوا حظًّا من مماثلة أنبياء بني إسرائيل بشكل خفيّ، ولكن مسيح هذه الأمة قد بُعِث بأمر من الله وإذنِه مقابل المسيح الإسرائيلي بشكل جليّ، لتتّضح المماثلةُ بين **السلسلتين الموسوية والمحمدية،** ومن أجل ذلك شُبِّه هذا **المسيح** بابن مريم من كل الوجوه، حتى تعرض لما تعرض له ابن مريم الإسرائيلي. فأولاً كما وُلد عيسى بن مريم بمحض نفخ الله، كذلك وُلد هذا المسيح أيضًا بمحض نفخ الله في حالته المريمية بحسب وعْده تعالى في سورة التحريم. وكما أثيرت ضجة كبيرة عند ولادة عيسى بن مريم وقال الأعداء العميان لها: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[38]، كذلك قد قيل بشأني وأثيرت ضدي ضجة كالقيامة. وكما أن الله تعالى ردّ على المعارضين بشأن عيسى عندما وضعتْه مريم قائلا: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾[39]، **كذلك قد ردّ الله** الآن على مَن عارضني حين وضعتُ حملي على سبيل الاستعارة، وقال لهم: إنكم لن تقدروا على إفنائه بمكائدكم، **وسأجعله للناس آيةَ رحمة،** وكان ذلك مقدرًا منذ

[38] مريم: ٢٨
[39] مريم: ٢٢

الأزل. ثم كما أفتى مشايخُ اليهود بتكفير عيسى ؑ، حيث أعدّ هذا الاستفتاء يهوديٌ كبير شرير وأفتى به الآخرون الكبار حتى صادَق على تكفيره ؑ مئات من كبار علماء اليهود من بيت المقدس الذين كان معظمهم من أهل الحديث[٤٠]، فكذلك حدث معي تمامًا. وكما أن عيسى ؑ قد أوذي بعد ذلك التكفير الصادر ضده إيذاءً شديدًا، وسُبّ سبابًا غليظًا، وأُلِّفَتْ في هجائه وشتمه مؤلَّفات، **فكذلك تمامًا**

---

[٤٠] إن اليهود في زمن عيسى ؑ كانوا فِرَقًا عديدة، غير أن الذين كانوا يُعَدّون على الحق كانوا فِرقتين، إحداهما كانت تتمسك بالتوراة وتستنبط منها المسائل بالاجتهاد، والأخرى كانت "أهل الحديث" الذين كانوا يرون الحديث قاضيًا على التوراة، وكان هؤلاء قد انتشروا في البلاد الإسرائيلية كثيرا، وكانوا يعملون بأحاديث كانت معظمها تعارض التوراة وتناقضها، وكانت حجتهم أن بعض المسائل الشرعية لا توجد في التوراة، مثل العبادات والمعاملات وقانون الجزاء والعقاب، وإنما نعرفها عن طريق الأحاديث. كان اسم كتاب حديثهم "التلمود"، وكان يشمل أحاديث نبيٍّ كلِّ زمان، وظلت هذه الأحاديث تتداول على الألسن مدة من الزمان، ثم دُوّنت بعد مدة طويلة، فدُسَّ فيها قِسْم من الأحاديث الموضوعة. لقد افترق اليهود بمرور الزمن إلى ثلاث وسبعين فرقة، وكانت كل فرقة تنفرد بأحاديثها، والمحدّثون منهم كانوا قد أعرضوا عن التوراة، ولم يعملوا إلا بالحديث عادةً، وكأن التوراة كانت متروكة مهجورة؛ فإنْ وافقت الحديثَ أخذوا بها، وإلاّ فرَدّوها. وفي ذلك الزمن بُعث عيسى ؑ، وقد خاطبَ -على وجه الخصوص- أهلَ الحديث الذين كانوا يعظّمون الأحاديث أكثر من التوراة. وقد سبق أن أنبأت صحف الأنبياء أنه عندما يفترق اليهود على فرق متعددة، ويعملون بالأحاديث خلاف كتاب الله تاركين إيّاه، سيُبعث لهم حَكَمٌ عَدْلٌ يُدعى المسيح، فلا يقبلونه، فيحلُّ عليهم عذاب شديد، وكان ذلك العذاب الطاعون، نعوذ بالله منه. منه

حصل معي؛ فكأن عيسى نفسه قد وُلِد ثانيةً بعد ألف وثمانمئة عام، كما وُلد اليهود أنفسهم من جديد. كان هذا هو المراد من نبوءة "غير المغضوب عليهم" إذ كان تحذيرًا من الله تعالى للمسلمين، ولكنهم للأسف أبوا إلا أن يكونوا المغضوبَ عليهم كاليهود. ولقد وضع الله بيده **حجرًا** من أساس هذه المماثلة إذ بعثني **مسيحًا للإسلام** على رأس القرن الرابع عشر، تمامًا كما بعث المسيح ابن مريم على رأس القرن الرابع عشر من بعد موسى، وإنه تعالى يُري مِن أجلي آياتِه القاهرة التي ليس بوسعِ معارضٍ تحت السماء سواء كان من المسلمين أو اليهود أو النصارى أو غيرهم أن يقاومها، فأنّى لإنسانٍ عاجز حقير أن يجابه الله تعالى؟ إن هذا لهو الحجر الأساس الذي هو من عند الله، وكل من أراد تحطيم هذا الحجر سيفشل، وعندما يسقط عليه هذا الحجر فسوف يحطّمه تحطيمًا، لأنّ الحجرَ حجرُ الله واليدَ يدُ الله.

المقارنة بين بيلاطس والقبطان دوغلاس

وأما الحجر الثاني فقد صنَعه أعدائي ووضعوه قُبالة الحجر الأول، إذ فعلوا ضدي أعمالاً فعَلها اليهود في ذاك الزمن، حتى نُسجت لهلاكي قضية دمٍ نبّأني الله بها سلفًا. والقضية التي أُقيمت ضدّي كانت أشدّ خطورة من التي رُفعت ضد عيسى بن مريم، ذلك أن أساس القضية المرفوعة ضده عليه السلام كان خلاف ديني بحت وكان أمرًا بسيطًا عند

الحاكم بل لم يكن بشيء، أما القضية التي أُقيمت ضدّي فكانت تهمةً بمحاولة قتل. وكما أن مشايخ اليهود قد أدلوا بشهادتهم ضد المسيح عليه السلام في تلك القضية، كذلك كان محتمًا أن يشهد في هذه القضية أيضًا بعض المشايخ ضدي، فاختار الله المولوي محمد حسين البطالوي لهذه الفعلة، فجاءَ مرتديًا جبّةً فضفاضة للإدلاء بالشهادة، وحضر المحكمةَ شاهدًا كما حضرها رئيسُ الكهَنة شاهدًا بُغيةَ صَلْبِ المسيح عليه السلام، ولم يكن الفرق بينهما إلا أنّ رئيس الكهنة كان قد أُعطيَ كرسيًا في محكمة بيلاطس - ذلك أن أفاضل اليهود كانوا يُعطَون كرسيًّا في عهد الدولة الرومانية وكان بعضُهم قضاةَ شرفٍ أيضًا، فلذلك نال رئيسُ الكهنة كرسيًا طبقًا لقواعد المحكمة- بينما وقَف المسيح ماثلاً بين يدي مجلس الحكم كمجرم، وأما في قضيتي فكان الأمر على العكس تمامًا، أعني أن القبطان دوغلاس -الذي كان في منصة المحكمة مكانَ بيلاطس- أعطاني كرسيًا على عكس آمال الأعداء. لقد ظهر بيلاطس الثاني هذا أكثرَ خُلقًا من بيلاطس الأول الذي كان في زمن المسيح ابن مريم عليه السلام، إذ ظل ملتزمًا بالعدل طول المحاكمة بشجاعة واستقامة ولم يبال مطلقًا بالشفاعات الواردة من الجهات العليا، كما لم تُحدِث فيه النزعة القومية والدينية أي تغيير، وكان أسوةً رائعة بتمسّكه بالعدل الكامل بحيث لو عُدَّ شخصُه فخرًا للقوم وقدوةً للحكام فلا مبالغة فيه. إن القضاء بعدل لأمرٌ بالغ الصعوبة، ولا يستطيع المرء أداء هذا الواجب

حق الأداء ما لم يجلس على كرسي المحكمة منقطعًا عن جميع العلائـق. وإننا نؤدي شهادة الحق بأن **بيلاطس هذا** قام بواجبه حق القيام، بينما لم يستطع بيلاطس الرومي أداء واجبه على ما يرام، وعرّض بجُبْنِه المسيحَ عليه السلام للشدائد المروعة. وهذا الفرق حريٌّ بالذكر في جماعتنا ما دامت الدنيا قائمةً، وكلما زادت هذه الجماعة عددًا ووصلت الملايين والبلايين، سيُذكر هذا الحاكم الصالح النيّة ذِكرًا حسنًا. إنه لِمن حُسن طالعه أن الله تعالى قد اصطفاه لهذه الخدمة. كم كان امتحانه صعبًا، إذ أتاه فريقان أحدهما كان يعمل مبشِّرًا لدِيانته والآخر كان خصْمًا لدينه وقيل له إن هذا عدوّ لدود لدينك، ومع ذلك فإن هذا الحاكم الباسل بيلاطس الثاني اجتاز هذا الاختبار بكل استقامة. لقد عرضوا عليه من مؤلفاتي مواضع ظنّوا لقلة فهمهم أنها تتضمن كلمات قاسية بحق الديانة المسيحية وحرّضوه عليّ، ومع ذلك لم يطرأ على وجهه أدنى تغيّر، لأنه كان قد توصل إلى الحقيقة بفضل ضميره المستنير. وبما أنه كان قد تحرّى الحق في تلك القضية بقلب صادق، فنصرَه الله وأنزل على قلبه إلهام الحق وكشف عليه أصل الحقيقة. لقد كان مسرورًا جدًا لاستبانة سبيل العدل له. لقد أعطاني كرسيًا إزاء المدّعي رعايةً للعدل فقط. ولمّا رآني المولوي محمد حسين - الذي كان قد أتى للإدلاء بشهادته ضدي مثل رئيس الكهنة - جالسًا على الكرسي ولم يجدني في ذلّة كانت عينُه تتمنى أن تراني فيها، طلب من بيلاطس هذا كرسيًا لنفسه بحجة المساواة، لكنه

زجره وقال له بعنف: ما أُعطِيتَ **أنت ولا أبوك** كرسيًا قط، وليست ثمة توصيةٌ في ديواننا بإعطائك الكرسي.

وهذا الفرق بين القضيّتين هو الآخر لجديرٌ بالتدبر، فإن بيلاطس الأول خاف اليهود فأعطى بعضًا من شهودهم الكرام كراسيَ، وجعل المسيحَ عليه السلام - الذي كان قد أُحضِر كمجرم- يظل واقفًا أمامه، مع أن بيلاطس هذا كان ناصحًا صادقًا للمسيح بل كان له كالمريدين، وكانت زوجته من مريدي المسيح الخواص وكانت تُعَدّ من أولياء الله، ومع هذا فقد بلغ به الخوفُ مبلغًا جعله يسلِّم المسيحَ البريء إلى اليهود بغير حق. ما كان المسيح عليه السلام متّهَمًا بالقتل كما كنتُ أنا، وإنما كانت تلك قضيةَ اختلاف بسيط في العقيدة، ولكن بيلاطس الرومي لم يكن شجاعًا، فخاف لمجرد تهديد اليهود برفع الشكوى ضده عند قيصر.

ثم هنالك مماثلة أخرى جديرة بالذكر بين بيلاطس الأول وبيلاطس هذا؛ وهي أن الأول قال لليهود لما قُدِّم المسيحُ عليه السلام في محكمته: لستُ أجد على هذا الرجل أي ذنب. وهكذا لمّا مثُل هذا المسيح الثاني بين يدي بيلاطس الثاني وطلب منه مهلةَ بضعة أيام للجواب على تهمة القتل، قال له بيلاطس الثاني هذا: أنا لا أتّهمك بدم. إن هذين القولَين لهذين الحاكمين متشابهان تماما، وليس ثمة فرق بينهما غير أنّ بيلاطس الأول اعتراه خوف عندما هُدّد برفع الشكوى ضده عند قيصر ولم يثبت على قوله، فسلَّمَ المسيح عليه السلام إلى اليهود الدمويين عمدًا، وإنْ

كان حزينًا على ما فعل، كما كانت امرأته هي الأخرى حزينةً، إذ كانا من المؤمنين به إيمانًا كبيرًا، لكن غلب عليه الجُبن حين رأى من اليهود صخبًا شديدا، غير أنه سعى في السرّ سعيًا حثيثًا لإنقاذ المسيح من الصَلْب، وقد نجح في سعيه هذا ولكنْ بعد أن عُلّق المسيحُ على الصليب وأُغميَ عليه من شدة الألم إغماءً شديدًا كأنه هو الموت بعينه. على كلٍ فقد نجا المسيح ابن مريم عليه السلام من الموت بسعي من بيلاطس الرومي. وكان دعاء المسيح للنجاة من الموت قد استُجيب سلفًا (انظرْ رسالة بولس إلى العبرانيين ٥:٧) [٤١]. ثم جاء المسيح عليه السلام هاربًا في الخفاء من تلك الأرض إلى كشمير، وهناك تُوُفِّيَ، وقد سمعتم أن له قبرًا في حارة "خانيار" في مدينة "سري نگر". وكان كل ذلك نتيجة لسعي بيلاطس، ومع هذا لم يكن عمل بيلاطس الأول خاليًا من وصمة الجبن؛ فلو أنه عمل بحسب قوله "لستُ أجد في هذا الإنسان أي ذنب" وأطلق سراح المسيح عليه السلام، لما كان ذلك صعبًا عليه، بل كان قادرًا على إطلاق سراحه، ولكنه خاف بتهديد رفع الشكوى عند قيصر. وأما بيلاطس

---

[٤١] لقد قال المسيح عليه السلام نفسه على سبيل النبوءة: "لا تُعْطَى لَهُ (أي لقومه) آيَةٌ إِلا آيَةُ يُونَانَ"، فقد أشار بقوله هذا إلى أنه كما دخل يونان بطنَ الحوت حيًّا وخرج منه حيًّا، كذلك سيدخل هو القبرَ حيًّا ويخرج منه حيًّا. وهذه الآية لا تتحقق إلا إذا كان المسيح عليه السلام قد نزل من الصليب حيًّا ودخل القبر حيًّا؟ وكأنما جاء قول المسيح عليه السلام: "لا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلا آيَةُ يُونَانَ" ردًّا على الذين يقولون إن المسيح أرى آية الصعود إلى السماء أيضًا. منه

الثاني هذا فلمْ يفزعه ازدحام القساوسة مع أن الحكومة ههنا أيضًا كانت لقيصرةٍ، إلا أن هذه القيصرة خيرٌ من ذاك القيصر كثيرًا، لذا فما كان لأحد أن يخوّف القاضي من القيصرة للضغط عليه ليحيد عن العدل.

وعلى كلٍ فقد أثيرت الضجّة ونُسجت المكائد ضد المسيح الثاني أكثرَ من المسيح الأول؛ وكان قد احتشد ضدي أعدائي من كبار جميع الملل، غير أن بيلاطس الثاني قد آثر الحق، وصدّق ما قاله لي من قبل: "أنا لا أتَّهمك بدم"، وأعلنَ براءتي بأوضح بيان وبكل شجاعة. لقد لجأ بيلاطس الأول إلى الحيل لإنقاذ المسيح عليه السلام، أما بيلاطس هذا فالتزم بمقتضى العدل تمامًا بما لم يكن فيه شائبة من الجبن.

وفي اليوم الذي ثبتت فيه براءتي، أُحضرَ إلى المحكمة سارق من "جيش الخلاص"[٤٢]، ذلك لأن سارقًا كان قد أُحضرَ في المحكمة مع المسيح الأوّل أيضًا، غير أن السارق الذي أُحضرَ مع المسيح الثاني لم يُصلب ولم تُكْسَر عظامُه كما فُعل بالسارق الذي أُحضرَ مع المسيح الأول، وإنما عوقبَ بالسجن ثلاثة أشهر فقط.

ونعود إلى بياننا السابق ثانيةً ونقول: إن سورة الفاتحة تزخر بحقائق ودقائق ومعارف لو دُوِّنت كلها لما وسعها دفتر. خذوا مثلاً هذا الدعاء

[٤٢] مؤسسة دينية مسيحية تسمى بالإنجليزية (SALVATION ARMY) تقوم بأعمال خيرية. (من المترجم)

الحكيم الذي عُلّمناه في هـذه السورة، أعـني: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فهو ينطوي على مفهوم شامل يمكن اعتباره المفتاحَ الوحيد لمقاصد الدين والدنيا كلها. ذلك أنّنا لا نستطيع الوقوفَ على حقيقة شيء ولا الانتفاعَ بما فيه من فوائد ما لم نجد للوصول إليه سبيلاً مستقيمًا. إن النجاح لصعب جدًّا بل مستحيل في كلّ ما يوجد في الدنيا من أمور صعبة ومعقّدة -سواءً منها ما يتعلق بمسؤوليات الدولة والوزارة، أو الجندية والحرب والقتال، أو المسائل الدقيقة في علم الطبيعة والهيئة، أو طرق الفحص والمعالجة في علم الطب، أو التجارة والزراعة- ما لم نعثر على طريق مستقيم يبيّن لنا كيفية بدء تلك الأعمال. وإن كل لبيب يرى لزامًا عليه وقت الشدائد أن يفكّر طويلاً بالليل والنهار فيما حلّ عليه من مشكلة معقّدة لكي يجد للخلاص منها سبيلاً. والحق أن القيام بأي صنعة أو اكتشافٍ أو أمرٍ معقَّد عويص ليتطلبُ شَقَّ طريق له. لقد ثبت من هنا أن الدعاء الحقيقي لنيل مقاصد الدنيا والدين إنما هو دعاء الاهتداء إلى الطريق السليم، فإذا تيسّرَ الطريق السويّ للأمر تحقّقَ حتمًا بفضل الله تعالى. لقد جعل الله تعالى بقدرته وحكمته طريقًا لتحقيق كل مطلب، فمثلاً من المستحيل أن يعالَج المريض علاجًا صحيحًا ما لم يتوافر لفحص مرضه ووصف الدواء له سبيلٌ يُفتي القلبُ بأنه سيؤدي إلى النجاح حتمًا، بل لا يمكن أن يستتبّ في الدنيا نظام ما لم يمهَّد له الطريق أولاً، لذا يتحتم على طالبِ غرضٍ أن يتحرى السبيل

إليه. فكما أنه لا بد لنا للنجاح في أمور الدنيا من تيسُّرِ سبيلٍ للسير عليه إلى الهدف، كذلك قد مسّت الحاجة منذ القديم إلى سبيل مِن أجل أن يحظى الإنسان بولاية الله وحبّه وفضله، فلذلك قد قال الله تعالى في مستهلّ السورةِ الثانية سورةِ البقرة التي تلي سورة الفاتحة: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤٣].. أي أن الصراط الذي يؤدي إلى الإنعام هو ما نُبيِّنه نحن[٤٤].

إذن، إن هذا الدعاءَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لَدعاءٌ جامعٌ ينبّه الإنسان إلى أن أول ما يجب عليه عند حلول مشكلة دينية أو دنيوية أن يبحث عن الطريق المستقيم لحلّها، أي أن يبحث عن طريق واضح سويّ يؤدي به إلى المطلوب بكل سهولة، ويملأ قلبه يقينًا ويخلّصه من الشبهات. ولكن **الذي يسأل الخبز** وفق التعليم الإنجيلي لن يختار سبيل الوصال إلى الله تعالى، لأن مقصوده هو الخبز، فإذا وجد الخبز فما له ولله؟ ومن أجل ذلك زلّت قدم النصارى عن الصراط المستقيم، وغُلّتْ أعناقهم بعقيدة مخجلة للغاية أعني: اتخاذ البشر إلهًا. لا ندري ما الذي يميز المسيح عن غيره حتى فكّروا في تأليهه؟ إذ يفوقه أكثرُ الأنبياء السابقين مثل موسى والْيَسع وإيلِيَّا النبي في المعجزات. والذي نفسي بيده لو كان المسيح في زمني لما استطاع أن ينجز ما أستطيع إنجازه من

---

[٤٣] البقرة: ٣

[٤٤] في سورة الفاتحة دعا المؤمنون بمعرفة الصراط المستقيم، أما في السورة التالية فقد دلّهم الله على الصراط المستقيم إعلامًا منه بأن دعاءهم قد استجيبَ. منه

الأعمال، ولما قدر على أن يُري تلك الآيات التي تظهر على يـدي[٤٥]، ولَوَجد فضلَ الله عليّ أكثر مما كان عليه. فإذا كنتُ أنا هكـذا، فمـا بالُك بعظمة **ذلك الرسول المطهّر ﷺ الذي أنا خادمُه!** ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ولن ينفع هنا أحدًا الحسدُ ولا الغبطة شـيئًا، فـإن الله يفعل ما يشاء. ومَن خالف مشيئته تعالى، فـلا يخيـب في مقاصـده فحسب، بل يتخذ سبيله إلى جهنم بعد الموت. فويلٌ للـذين اتخـذوا المخلوق العاجز إلهًا، وويل للذين لم يؤمنوا بمن كـان مـن رسـل الله المصطفَيْن الأخيار.

فمباركٌ الذي يعرفني. إنني أنا السبيل الأخير من سبل الله كلِّها، وإنني النور الأخير من أنواره كلّها، وشقيٌّ مَن يهجرني، لأنه بـدوني ظـلامٌ كله.

أما الذريعة الثانية لهداية المسلمين فهي **السُّنَّة**؛ أي أعمال الـنبي ﷺ التي قام بها تفسيرًا لأحكام القرآن المجيد. فمثلاً لا يُعرف مـن القـرآن

---

[٤٥] سترون لتصديق ما أقوله كتاب "نزول المسيح" الذي هو قيد الطبع الآن، وقد طُبع منه حتى اليوم الكثير وسيُنشَر قريبًا. لقد ألّفتُ هذا الكتاب ردًّا على كتاب "تنبور سيف جشتيائي" الذي ألّفه بير مِهْر علي الغولروي، وأثبتُّ فيه أن السيد "بير" قد ارتكب بسرقة مقال السيد محمد حسن المتوفى أخطاءً مخجلة ستجعل حياته مريرة جدًا حين يطّلع عليها. لقد مات ذلك الشقيّ الأول تحقيقًا لنبوءتنا المذكورة في كتابنا "إعجاز المسيح"، أما هذا الشقيّ الثاني فقد أصبح غرضًا لنبوءتنا القائلة: "إني مُهينٌ مَن أراد إهانتك" نتيجة تأليفه كتابًا باطلاً. فاعتبِروا يا أولي الأبصار! منه

المجيد بظاهر النظر عددُ ركعات الصلوات الخمس، فكَم منها في الصباح وكَم منها في مواقيت أخرى، ولكن السنّة فصَّلتْ كل ذلك تفصيلا.

الفرق بين السنة والحديث

ولا يظنّنّ أحد أن السنّة والحديث شيء واحد، لأن الحديث لم يدوَّن إلا بعد مائة أو مائة وخمسين سنةً، أما السنّة فكانت مزامنة للقرآن المجيد منذ نزوله. وإنّ للسنّة أكبرَ منّةٍ على المسلمين بعد القرآن. كان واجب الله ورسوله منحصرًا في أمرين فقط، فكان على الله أن يُنـزِل القرآن فيُطْلِع الخلقَ على مشيئته بكلامه؛ وكان هذا من مقتضى ناموس الله تعالى، أما رسول الله ﷺ فكان من واجبه أن يُرِي الناس كلام الله تعالى ويشرحه لهم جيدًا بصورة عَمَليّة. فأرى رسولُ الله ﷺ الناسَ تلك الأقوالَ في حيِّز الأعمال وحلَّ معضلاتِ الأمور والمسائل بسنّته أي بأفعاله وأعماله. ولا مَساغ للقول بأن تقديم ذاك الحل كان مقصورًا على الحديث، ذلك أن الإسلام كان قد استقرّ في الأرض قبل وجود الحديث[٤٦]. ألم يكن الناس يصلّون ويؤتون الزكاة ويحجّون البيت ويعرفون الحلال والحرام قبل أن تُدوَّن الأحاديث؟

---

[٤٦] إن "أهل الحديث" يطلقون اسم "الحديث" على فعل الرسول ﷺ وقوله كليهما، لكن اصطلاحهم لا يعنينا. الحق أن السنّة قد تولى النبي ﷺ نشرها بنفسه، أما الحديث فهو شيء آخر قد جُمع فيما بعد. منه

نعم، إن **الحديث ذريعة ثالثة للهداية،** لأن الأحاديث تفصّل لنا شيئًا كثيرًا من أمور الإسلام التاريخية والأخلاقية والفقهية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن أكبر فائدة للحديث هي أنه خادم القرآن وخادم السنّة. إن الذين لم يُعطَوا حظًا من أدب القرآن فإنهم يعتبرون الحديث حَكَمًا على القرآن كما فعل اليهود بأحاديثهم، ولكننا نعُدّ الحديث خادمًا للقرآن والسنّة، والظاهر أن عظمة السيد تزداد بوجود الخَدم. إن القرآن قولُ الله، والسنّة فعلُ رسول الله، والحديث شاهدٌ مؤيِّد للسنّة. فمن الخطأ القول بأنّ الحديث حَكَمٌ على القرآن، نعوذ بالله من ذلك. إذا كان ثمة حَكَمٌ على القرآن فهو القرآن نفسه، أما الحديث -وهو على مرتبة ظنية- فلا يمكن أن يكون حَكَمًا على القرآن، إنما هو مجرد شاهد مؤيِّد له. لقد أنجز القرآن والسنّة العملَ الأساسَ كله، وليس الحديث إلا شاهد مؤيّد، وأنّى للحديث أن يكون حَكمًا على القرآن؟ لقد كان القرآن والسنّة يهديان الخلقَ في زمن لم يكن فيه لهذا الحَكَم المزعوم أثر. لا تقولوا إن الحديث حَكَمٌ على القرآن، بل قولوا إنه شاهد مؤيِّد للقرآن والسنّة.

والسنّة توضّح لنا مشيئة القرآن. والمراد من السنّة الطريقُ الذي سيَّر عليه الرسول ﷺ أصحابَه عمليًا. وليست السنّة اسمَ تلك الأقوال التي دُوِّنت في الكتب بعد نحو مئة وخمسين عامًا، إنما تُسمّى تلك الأقوال

حديثًا، أما **السنّة** فهي اسم للأسوة الحسنة التي لم تزل مطّردة متـــواترة عبر أعمال صلحاء المسلمين منذ بدء الإسلام ودُرِّب آلاف المـــسلمين عليها.

معيار صحة الأحاديث

نعمْ، إن الحديث -مع أن أكثره على مرتبة الظن- لجديرٌ بالتمسك به شريطة ألا يعارض القرآنَ والسنّة. إنه مؤيِّدٌ للقرآن والسنّة، ويحتوي على ذخيرة كبيرة من المسائل الإسلامية، لذا **فعدمُ الأخذ بالحـــديث** يعني بتْرَ عضوٍ من أعضاء الإسلام. بيد أنه إذا كان ثمة حديثٌ مناقضٌ للقرآن والسنّة، ومعارضٌ لحديث آخر موافقٍ للقرآن، أو كان مخالفًا لما ورد في صحيح البخاري، فإن ذلك الحديث غير جدير بـــالقبول، لأن قبوله يؤدي إلى رفض القرآن ورفضِ جميعِ الأحاديـــث الـــتي توافـــق القرآنَ. وأعلم أن أحدًا

من المتقين لن يجرؤ على أن يثق بحديثٍ يخالف القرآن والسنة وينافي الأحاديثَ الموافقة للقرآن الكريم. باختصار، اقدروا الأحاديـــث حـــقَّ قدرها واستنفعوا منها، فإنها تُنسب إلى رسول الله ﷺ، ولا تكذِّبوها ما دام القرآن والسنّة لا يكذِّبانها. تمسكوا بالأحاديث النبوية تمسّكًا بحيث لا يصدر منكم حركةٌ أو سكون أو فعلٌ أو تركُ فعل إلاّ ويكون هناك حديثٌ يؤيده. ولكن إذا كان هناك حديث يعارض قـــصص القـــرآن

معارضةً صريحة، فعليكم أن تحاولوا التطبيق والتوفيق بينهما، فلعل التعارض راجع إلى سوء فهمكم، أما إذا لم يزُل التعارض بأي طريق، فانبذوا مثل هذا الحديث، فإنه ليس من رسول الله ﷺ. وإذا كان هناك حديث ضعيف يوافق -مع ضعفه- القرآنَ فاقبلوه، لأنّ القرآن مصدِّقُه. وإن كان هناك حديث يتضمن نبوءة، لكنه ضعيف عند المحدِّثين، ثم تحققتْ النبوءة الواردة فيه في عصركم أو قبْلكم، فاعتبِروه حديثًا حقًّا، واعتبِروا المحدِّثين والرُواةَ الذين وصموه بالضعف والوضع مخطئين كاذبين. فهناك مئاتُ الأحاديث التي تحتوي على نبوءات، وأكثر هذه الأحاديث مجروحةٌ أو موضوعة أو ضعيفة عند المحدّثين، فإذا تحقّق حديث منها ولكن أهملتموه قائلين لا نسلّم به، لأنه ضعيف، أو أن فلانًا من رُواته غيرُ متديِّن، فيكون هذا دليلا على خيانتكم إذ رفضتم حديثًا أظهر الله صِدْقَه. لو كان هناك ألف حديث من هذا القبيل وكانت كلها ضعيفة عند المحدثين، ثم تحققت نبوءاتها الألفُ، فهل ترضون بإضاعة ألف برهان من براهين الإسلام بتضعيفكم هذه الأحاديث كلها؟ لا شك أنكم في هذه الحالة ستُعَدُّون من أعداء الإسلام. يقول الله عز وجل ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[٤٧]، فإلى من تُنسَب النبوءة الصادقة سوى الرسول الصادق؟ أَمِن الإيمان أن يقال في هذه الحالة إنّ أحد المحدثين

[٤٧] الجن: ٢٧-٢٨

قد أخطأ في تضعيفِ حديث صحيح، أم أن يقال إن الله هو الذي أخطأ إذ صدّق بفعله حديثًا موضوعًا؟ فاعملوا بالحديث -وإن كان ضعيفًا- بشرط أن لا يعارض القرآنَ أو السنّةَ أو الأحاديثَ الموافِقة للقرآن الكريم.

غير أن العمل بالأحاديث يجب أن يكون بحيطة كبيرة، لأنّ كثيرًا منها موضوعةٌ أحدثتْ في الإسلام فتنةً. فكلّ فِرقة لديها حديث يوافق عقيدتَها؛ حتى إن الاختلاف في الأحاديث قد جعل الصلاة -هذه الفريضةَ اليقينيةَ والمتواترةَ- على صور مختلفة؛ فبعضهم يجهر بـ "آمين"، وبعضهم يُسِرّ بها، وبعضهم يقرأ "الفاتحة" خلف الإمام، وبعضهم يرى أن قراءتها وراءه تفسد الصلاة، ومنهم مَن يضع يديه على صدره خلال الصلاة، ومنهم من يضعهما عند سُرّته. والسبب الحقيقي لهذا الاختلاف هو الأحاديث. ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[48]. إن السُّنة لم ترشد إلا إلى طريق واحد، ولكن اختلاف الروايات أدّى فيما بعد إلى تشعُّب هذا الطريق الواحد. كما أن عدم فهم بعض الأحاديث قد أهلك الكثيرين. لقد هلك الشيعة أيضًا للسبب نفسه، فلو أنهم اتخذوا القرآن حَكَمًا لهم لوهبتْهم سورة النور وحدها نورًا، لكن الأحاديث أهلكتْهم. وكذلك قد هلك في زمن

---

[48] المؤمنون: ٥٤

المسيح ﷺ أولئك اليهود[٤٩] الذين كانوا يسمَّون "أهلَ الحديث". كانوا قد هجروا التوراة منذ مدّةٍ، وكانوا -ولا يزالون- يرون أن الحديث حَكَمٌ على التوراة. كانت عندهم أحاديث كثيرة تقول إن مسيحهم الموعود لن يأتي ما لم ينزل إيلِيًّا من السماء بجسده العنصري ثانيةً. فعثرت بهم تلك الأحاديث أيّما عثرة، فما استطاعوا لاتّكالهم عليها أن يقبلوا التأويل الذي قدّمه لهم المسيح ﷺ إذ قال لهم إن المراد من إلياس (إيليّا) هو يوحنا أي يحيى النبي، الذي جاءَ على فطرة إلياس وشمائله وتسربلَ سرباله على سبيل البروز. فكانت عثْرتُهم كلها من جرّاء الأحاديث، وقد أفضت بهم إلى الكفر في نهاية المطاف. من الممكن أنهم أخطأوا في فهم تلك الأحاديث، أو أن شيئًا من كلام البشر قد خالطَها.

وخلاصة الكلام أن المسلمين قد لا يعلمون أن "أهل الحديث" مِن بين اليهود هم الذين كفروا بالمسيح ﷺ، وأثاروا ضجة وكتبوا ضده فتوى التكفير، وعدُّوه كافرًا، وقالوا إن هذا لا يؤمن بصحف الله، فإن

[٤٩] لقد عارض الإنجيل بشدةٍ الأفكارَ التي وردت في أحاديث التلمود ورواياته. إن جميع تلك الأحاديث كانت تُرفع إلى موسى ﷺ جيلا عن جيل، وكان يقال إنها من الوحي النازل على موسى ﷺ، حتى آل بهم الأمر إلى أنهم اتخذوا التوراة مهجورًا وصرفوا الوقت كله في تلاوة تلك الأحاديث. والتلمود يخالف التوراة في بعض الأمور، ومع ذلك كان اليهود يعملون بالتلمود. (راجع "التلمود" تأليف يوسف باركلي المطبوع بلندن سنة ١٨٧٨م). منه

الله تعالى قد أخبرنا ببعثة إلياس ثانية، لكنّ هذا الشخص يؤوّل هـــذه النبوءة، ويحرّف هذه الأخبار كيفما شاء دونما قرينة صارفة عن مرادها الظاهر[٥٠].

ثم إنهم لم يكتفوا بتسمية المسيح كافرًا فحسب، بل اتهموه بالإلحاد، وقالوا إن الدين الموسوي باطل إذا كان هذا الرجل صادقًا. لقد كـــان زمنهم ذاك بمنـــزلة الفَيْج الأعوج لهم، إذ غرّتْهم الأحاديث الموضوعة.

باختصار يجب عند مطالعة الأحاديث أن نتذكر دائمًا أنه سبق أن أُمةً هلكتْ نتيجة جعْل الحديث حكمًا على التوراة حتى إنها كفرتْ بـــنبيّ صادق وسمَّتْه كافرًا ودجالاً.

غير أن صحيح البخاري كتابٌ مبارك ونافع جدًا للمسلمين، وهـــو الكتاب الذي قد ورد فيه صراحة أنّ المسيح عليه السلام قد تُوفي. وكـــذلك

[٥٠] عندما كُتبت فتوى التكفير ضد عيسى عليه السلام كان بين المكفّرين بولس أيضًا الذي أعلن بعدئذ أنه رسولُ المسيح. لقد كان هذا الرجل في حياة المسيح عليه السلام من أشد أعدائه، ولم يَرِدْ في أي من الأناجيل التي كُتبت باسم المسيح أيةُ نبوءة من المسيح بأن بولس هذا سيتوب بعدي ويصير رسولًا لي. ولا حاجة بنا أن نكتب شيئًا عن أوائل سيرة هذا الرجل، لأن المسيحيين يعلمون ذلك جيدًا. يا ويلاه إنه هو الرجل نفسه الذي آذى المسيح عليه السلام إيذاءً شديدًا طول زمن إقامته في ذلك البلد، ولما هاجر عليه السلام إلى كشمير بعد النجاة من الصليب أدخلَ بولس نفسه -بناءً على رؤيا مزورة- في زمرة الحواريين، ونحت مسألة الثالوث وأحلّ للنصارى لحم الخنـــزير الذي كان محرمًا بحكم التوراة تحريمًا أبديًا، وتوسَّع في جواز شرب الخمر، وأدخل الثالوث في العقيدة الإنجيلية، ليرضى الوثنيون اليونان بجميع هذه البدع. منه

مسلم وغيره من كتب الأحاديث الأخرى تتضمن ذخيرة كبيرة من المعارف والمسائل، ويجب العمل بها شريطة ألا يخالف مفهومها القرآنَ والسنّةَ والأحاديثَ التي تتفق مع القرآن الكريم.

أَلا يا عباد الله الذين تطلبونه، اسمعوا وعوا! إن اليقين لا يماثله شيء. إنه اليقين الذي يخلِّص من الذنوب. إنه اليقين الذي يمنح القدرة على فعل الخيرات. إنه اليقين الذي يجعل العبد محبًا صادقًا لله تعالى. أتظنون أن بمقدوركم أن تهجروا الإثم بغير اليقين؟ أم أنكم تستطيعون أن تتخلصوا من نزعات النفس بدون التجلي اليقيني؟ أم هل تستطيعون أن تنالوا الطمأنينة بغير اليقين؟ أم تستطيعون أن تُحدِثوا أي تغير حقيقي بغير اليقين؟ أم هل بوسعكم أن تحصلوا على راحة بال حقًّا بغير اليقين؟ هل ثمة كفّارةٌ أو فديةٌ تحت السماء تمكِّنكم من ترك الذنوب؟ هل بوسع عيسى بن مريم أن يخلِّصكم دمُه المزيف من الإثم؟ أيها المسيحيون لا تفتروا افتراءً تكاد الأرض تنشقّ منه. كان يسوع نفسه بحاجة إلى اليقين لنجاته، فأيقن ونجا. فيا حسرةً على المسيحيين الذين يخدعون الناس بقولهم إنهم قد تخلّصوا من الإثم بفضل دم المسيح، مع أنهم غارقون في الإثم من قمة الرأس إلى أخمص القدمين. لا يدرون مَن إلههم، بل إن حياتهم لمشوبةٌ بالغفلة، وإن سكرة الخمر تغشى عقولهم، أما السكرة الطاهرة التي تنزل من السماء فلا علم لهم بها. إنهم محرومون من الحياة التي تكون مع الله ومن ثمرات الحياة المقدّسة. لذلك فاعلموا أنكم لن

تستطيعوا الانسلاخ من الحياة المظلمة ولن تظفروا بروح القدس بغير اليقين.

فمباركون أولئك الذين يحظون باليقين، لأنهم هم الذين سَيَرَون ربّهم. ومباركون أولئك الذين تخلَّصوا من الشكوك والشبهات لأنهم هم الذين سيَنْجون من الإثم. ومباركون أنتم إذا أوتيتم ثروة اليقين، لأن ذنوبكم ستنتهي بعد ذلك. إن الإثم واليقين لا يجتمعان أبدًا. أتستطيعون أن تضعوا أيديكم في جُحْرٍ ترون في داخله حيّةً سامّة جدًّا؟ أم هل تستطيعون الوقوف في مكان يُمطر فيه البركان حممًا، أو تسقط فيه الصواعق، أو يهاجم فيه الأسد الضاري، أو يحصد فيه الطاعون الفتّاك الناس حصدًا؟ فإذا كنتم توقنون بالله إيقانَكم بوجود الحيَّة أو الصاعقة أو الأسد أو الطاعون في مكان، فمن المحال أن تختاروا سبيل العقاب بعصيانكم لله تعالى، أو أن تقطعوا عنه صلة الصدق والوفاء.

فيا مَن دُعيتم إلى البر والصلاح، اعلموا يقينًا أنكم لن تنجذبوا إلى الله تعالى ولن تُطهَّروا من وصمة الإثم البغيضة، إلا إذا امتلأت قلوبكم باليقين.

ولعلكم تقولون إننا حائزون على اليقين. فاعلموا أنّكم مخدوعون في هذا الأمر. لم يتيسر لكم اليقين أبدًا لأن لوازمه غير متوفرة فيكم. ذلك أنكم لا تتورعون عن الإثم، ولا تتقدمون إلى الأمام كما ينبغي، ولا تتّقون الله حق تقاته. فكِّروا، هل يُدخل أحدكم يده في جُحر يوقن بأن

فيه حيّة؟ وهل يتناول طعامًا يوقن أنّ فيه سُمًّا؟ كيف يمكن لمن يرى بأم عينه في غابة ألفَ أسد مفترس أن يخطو إليها سادرًا غافلا؟ فكيف يمكن إذن -إذا كنتم توقنون بالله والجزاء- أن تجرؤ أيديكم وأرجلكم وأسماعكم وأعينكم على اقتراف الإثم؟ من المستحيل أن يتغلب الإثم على اليقين. كيف يمكنكم أن تُلقوا بأنفسكم في نار محرقة ملتهمة تروها بأم أعينكم؟ ألا إن أسوار اليقين تناطح السماء ويستحيل على الشيطان أن يتسوَّرها. وكل من تزكّى فإنما تزكّى باليقين. اليقين يمنح القوة للصبر على الأذى، حتى إنه يجعل الملِكَ يتنازل عن عرشه ويلبس لباس الفقر والزهد. اليقين يهوّن كل أذى. اليقين يُري اللهَ تعالى. إنّ كلّ كفارةٍ زائفةٌ، وكلّ فديةٍ باطلةٌ، إنما تتيسر كلّ طهارة باليقين. وإنَّ ما يخلِّص الإنسانَ من ربقة الإثم، ويوصله إلى الله تعالى، ويجعله يسبق الملائكةَ في الصدق والثبات، هُوَ اليقين. وكلُّ دين لا يهب اليقينَ باطلٌ، وكلُّ دين لا يقدر على إراءة الله من خلال الوسائل اليقينية زائفٌ. وكلُّ دين لا يملك سوى الأساطير القديمة مزوّر. إنّ الله تعالى لا يزال الآن كما كان، وإنّ قدرته أيضًا لا تزال اليوم كما كانت من قبل، وإنه لا يزال قادرًا على إراءة الآيات كما كان من قبل؛ فلماذا إذنْ ترضون بالقِصص. هالكٌ الدينُ الذي لا يملك من المعجزات والنبوءات إلاّ القصص، وهالكةٌ الجماعةُ التي لم ينزل الله عليها، ولم تُطهَّر بِيَد الله بواسطة اليقين. وكما أن الإنسان ينجرّ إلى أسباب ملذات النفس حين

يراها، كذلك تمامًا ينجذب المرء إلى الله تعالى حين يحصل على لــذّات روحانية بواسطة اليقين، ويُسكره جمالُه بحيث تتراءى له جميعُ الأشــياء إزاءه حقيرةً تافهةً. ومن المحال أن ينال الإنسان الخلاص مـــن الإثم إلا حين يطّلع على الله وجبروته وجزائه بشكل يقيني.

ألا إن أصل كلّ تجاسرٍ عدمُ المعرفة، وإن الذي يوهَب حظًّــا مـــن معرفة الله اليقينية لا يمكن أن يظل متجاسرًا. يستحيل لصاحب دار أن يظل مقيمًا فيها إذا علم بأن سيلاً عرمرمًا آتٍ نحوها، أو أن حريقًا قـــد اندلع حولها و لم يبق بينهما إلا قيد شبر. فلماذا إذنْ تـــستقرّون علـــى حالاتكم الخطِرة مع ادعائكم اليقينَ بجزاء الله؟ فافتحوا أعينكم وانظروا إلى ناموس الله الجاري في العالم كله. لا تكونوا فئرانًا تخلد إلى الأرض، بل كونوا حمائم تحلّق عاليًا وتحبّ جوّ السماء.

فلا تستقرّوا على الإثم بعد ما بايعتم بيعة التوبة؛ ولا تكونـــوا مثـــل الأفعى التي تظلّ أفعى حتى بعد الانسلاخ من جلدها. اذكروا المـــوت دومًا فإنه يقترب منكم رويدًا رويدًا وأنتم عنـــه غـــافلون. وتَطهّـــروا جاهدين، فإن الإنسان لا يحظى بوصال ذلك المقدس إلا إذا تطهّر.

أما كيف تنالون هذه النعمة، فقد أجاب الله نفسه عن ذلك السؤال إذ قال في القرآن المجيد: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾[٥١]؛ أي اطلبـــوا العَون من الله بالصبر والصلاة.

---

[٥١] البقرة :٤٦

ما هي الصلاة؟ إنها لدعاءٌ يُدعى بالتضرّع وبالتسبيح والتحميد والتقديس والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ. فإذا صلّيتم فلا تتقيّدوا كالغافلين في دعواتكم بالكلمات العربية فقط، فإن صلاتهم واستغفارهم كله مجردُ عادة وطقوس خالية من لُبّ الحقيقة. أما أنتم فحينما تقومون للصلاة، فإضافةً إلى أدعية القرآن الذي هو كلام الله والأدعية المأثورة التي هي كلام الرسول ﷺ، عليكم أن تدعو دعواتكم العامة الأخرى كلها بلسانكم الأمّ متضرعين، لكي يكون لهذا التضرع والخشوع وقعٌ في قلوبكم.

فلسفة أوقات الصلوات الخمس

ما هي الصلوات الخمس؟ إن هي إلا صورة لأحوالكم المختلفة؛ إذ تلازم حياتَكم تغيراتٌ خمس تعتريكم وقت البلاء، ولا بد لفطرتكم منها.

١- الأوّل حين تتلقّى خبرًا بأنّ بلاءً قادم إليك؛ كأن تصدر ضدّك من المحكمة مذكّرةٌ بضرورة مثولك فيها. هذا هو التغير الأول الذي يكدّر عليك صفو حياتك ويخلّ براحتك، وتُشبه هذه الحالة ساعةَ الزوال إذ بدأ بها زوال سعادتك، ومقابلَ هذه الحالة قد فُرضت صلاة الظهر التي يبتدئ وقتُها مع زوال الشمس.

٢- والتغير الثاني ينتابك حين تُدنَى من مكان البلاء؛ كأن تمْثُل أمام الحاكم معتقَلاً بموجب المذكرة، وهو وقت يكاد يتجمد فيه دمك خوفًا ويذهب عنك نور الطمأنينة، وتُشابه حالتك هذه وقتًا يتضاءل فيه ضوء الشمس ويمكن النظر إليها، ويبدو بوضوح أن غروبَها وشيك؛ ومقابل هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة العصر.

٣- والحالة الثالثة تعتريك حين ينقطع رجاؤك في نجاتك من تلك البليّة كليّةً، كأنْ تجري مجريات المحكمة ضدك ويدلي الشهود بشهادتهم لدمارك، وهو الوقت الذي ينخلع فيه قلبك وتعتبر نفسك أسيرًا. وتشبه حالتُك هذه غروبَ الشمس حين ينقطع الأمل من ضياءِ النهار، ومقابلَ هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة المغرب.

٤- والتغير الرابع يطرأ عليك حين يحيق بك البلاء فعلاً، ويحيط بك ظلامُه المدْلَهِمُّ، كأنْ يصدر الحُكم عليك بالعقاب، وتُسلَّم إلى الشرطة للسجن، بعد استعراض الشهادات وإدانتك. وتشبه حالتك هذه حين يخيّم الليل ويسود ظلامه الدامس؛ وإزاء هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة العشاء.

٥- ثم بعد مكوثك في ظلمة هذه المحنة برهة من الزمان، تهيج لك رحمةُ الله في النهاية وتنجيك من تلك الظلمة، تمامًا كما ينجلي الفجر أخيرًا بعد ظلمة الليل، ويُشرق ضوء النهار بلمعانه ثانية؛ ومقابل هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة الفجر.

فقد كتب الله عليكم الصلوات الخمس نظرًا إلى هـــذه الأحـــوال الخمس في تغيراتكم الفِطريّة. ويمكن أن تدركوا من ذلـــك أن هـــذه الصلوات إنما هي لفائدتكم. فإن كنتم تريدون أن تكونوا في مأمن من هذه البلايا، فلا تتركوا الصلوات الخمس، فإنها أظـــلالٌ لتطـــوراتكم الباطنة الروحانية. إن في الصلاة علاجًا للمِحن الآتية. إنكم لا تدرون ما يجلب لكم اليومُ الجديد من قضاء وقدر، فتضرّعوا أمام مولاكم قبْـــلَ طلوع النهار أن يكون طلوعه خيرًا وبركة لكم.

خطاب للولاة والملوك والأثرياء

أيها الولاة والملوك والأثرياء، قليلٌ منكم مَن يخـــشى الله ويكـــون صادقًا في جميع سبله. فأكثرُكم مولعون بمُلك الدنيا ومتعِهـــا، وفيهـــا تقضون حياتهم ولا تذكرون الموت. إن كل والٍ لا يقيم الصلاة وغافل عن الله، ففي رقبته إثمُ خَدَمِه وحاشيته أجمعين. وكل ثـــريّ يتعـــاطى الخمر، فعليه إثم الذين ينادمونه مشايعةً له.

أيها العقلاء، هذه الدنيا ليست دارَ قرار؛ فانتبِهوا واستقيموا. دعـــوا كل انحراف، وذَروا كل مسكر ومخدّر. ليست الخمر وحـــدها تـــدمّر الإنسان؛ بل إن الأفيون والغانج والحشيش والبنج والطاري وما إلى ذلك مما يسكر المرء فيُدمَن عليه، كلها تُفسد عقله وتهلكه في نهاية المطـــاف، فاجتنِبوها كلها. لا ندري لماذا تتعاطون هذه الأشياء الـــتي تـــؤدي إلى

موت ألوف من المدمنين أمثالكم كل سنة[٥٢]، إضافةً إلى عذاب الآخرة. كونوا من المتّقين لتطول أعماركم وترثوا بركات الله. إنّ عيشة البذخ المفرط عيشةٌ ملعونة، وإن عيشة سوءِ الخُلق والجفاءِ المفرط عيشةٌ ملعونة، وإن عيشة الغفلة المفرطة عن الله أو عن مواساة العباد عيشةٌ ملعونة. كل ثريّ سيُسأل عن حقوق الله وحقوق العباد كما يُسأل عنها أي فقير، بل الثري سيُسأل عنها أكثر. فما أشقاه مِن إنسان الذي يتّكل على هذه الحياة القصيرة، فيُعرض عن الله تمامًا، ويتناول ما حرّمه الله بتجاسر وكأنه قد أُحلَّ له، وإذا غضب سبّ هذا وجرح ذاك وهاجم هذا بنية قتله كالمجانين، وبلغ في الفحشاء المنتهى عند ثورة الشهوات. إن مثل هذا لن ينال السعادة الحقيقية حتى الموت.

أيها الأعزّة، لقد جئتم إلى الدنيا لأيام قلائل قد مضت معظمها، فلا تُسخِطوا مولاكم. ترون أنه لو سخطتْ عليكم الدولة الدنيويّة الأشدُّ منكم قوةً لدمّرتْكم تدميرًا، فكيف تأمنون سخطَ الله إذنْ؟ لن يقدر على إهلاككم أحد إن كنتم من المتقين عند الله تعالى، بل سيحميكم

[٥٢] الضرر الذي أصاب الأوروبيين من شرب الخمر إنما سببه أن عيسى عليه السلام كان يشرب الخمر، ربما كدواءٍ لمرض أو بسبب عادةٍ قديمةٍ، أما نبيّكم أيها المسلمون فكان -عليه السلام- بريئًا معصومًا من تعاطي كل مسكر، كما هو معصوم بكل معنى الكلمة، فمن ذا الذي تتّبعونه مع ادعائكم بالإسلام. إن القرآن الكريم لا يُحلّ الخمر كما أحلّها الإنجيل، فبأي كتاب تستحلّونها؟ أتظنون أنكم لن تُبعثوا بعد الموت؟ منه

الله بنفسه، ولن يتغلب عليكم عدوُّكم الذي يتربَّص بكم الدوائر، وأما إن لم تكونوا من المتقين، فلا حامي لكـم، بـل ستعيـشون في قلـق واضطراب مذعورِين من الأعداء أو مصابين بآفات أخرى، وسـوف تـقضون أواخر أعماركم في هموم وآلام شديدة جدًا. إن الله ﷻ يصير مأوًى للذين يكونون معه، فهلمّوا إلى الله، وانبذوا كل خلاف معه، ولا تتوانوا في أداء فرائضه، ولا تظلموا عباده لا باللسان ولا بالأيـدي[٥٣]، واتّقوا قَهْرَ السماء وغَضَبَها دومًا، **فهذه هي سبيل النجاة**.

خطاب للعلماء

يا علماء الإسلام، لا تتعجّلوا في تكذيبي، فهناك أسـرار كـثيرة لا يدركها المرء بسرعة. فلا تهبُّوا لإنكار قولٍ فورَ سماعه، فهذا ليس سبيل

---

[٥٣] إن الذي يثور غضبًا على بني جنسه فبالغضب يُهلَك، ولذلك سمى الله اليهود "المغضوب عليهم" في سورة الفاتحة، وفي ذلك إشارة إلى أنه مما لا شك فيه أن كل مجرم سيذوق غضب الله يوم القيامة، ولكن الذي يغضب في الدنيا بغير حق فيناله غضب من الله في الدنيا أيضًا. لم يَبْدُ الغضبُ من النصارى كما بدا من اليهود، لذلك لُقّبوا باسم ﴿الضَّالِّينَ﴾ في سورة الفاتحة. واعلم أن لكلمة ﴿الضَّالِّينَ﴾ معنيين أحدهما أنهم انحرفوا عن الصراط المستقيم، والثاني أنهم انمحوا وانصهروا، وعندي إن في هذه الكلمة بشارة لهم بأنهم سينجون من الدين الباطل في يوم من الأيام وينصهرون في الإسلام ويهجرون العقائد الوثنية والطقوس المعيبة المخجلة شيئًا فشيئًا ويصيرون موحدين حنفاء كالمسلمين. باختصار، إن كلمة ﴿الضَّالِّينَ﴾ المذكورة في آخر سورة الفاتحة هي نبوءة عما تؤول إليه حالة المسيحيين في المستقبل نظرًا إلى المعنى الثاني للضلال وهو انمحاء شيء في آخر وانصهاره فيه. منه

التقوى. فلو كنتم بريئين من العيوب تمامًا، ولو لم تكونوا قد أخطأتم في فهم بعض الأحاديث، لكانت بعثة المسيح الموعود -الذي هو الحَكَم- لغوًا وعبثًا. لقد كانت لكم عِبرة في اليهود، فإنهم أيضًا أصرّوا على ما أصررتم عليه وحذوا حذوكم، أعني أنهم كانوا ينتظرون بعثةَ إلياس عليه السلام ثانيةً كما تنتظرون بعثة عيسى عليه السلام ثانيةً، إذ كانوا يقولون سوف يُبعَث فيهم المسيح بعد أن ينزل إلى الدنيا ثانيةً إيلِيَّا النبيُّ (إلياس) الذي رُفع إلى السماء، وأن مَن ادّعى أنه المسيح قبل نزول إلياس فهو كاذب. وكانوا لا يبنون زعمهم هذا على أحاديثهم فقط، بل كانوا يُقدِّمون في إثباته كتابَ الله وهو سِفر ملاخي النبيّ. ولكن لما أعلن عيسى عليه السلام أنه هو المسيح الموعود لليهود، دون أن ينزل إلياس من السماء -الأمر الذي كان شرطًا لدعواه- ثبت بطلان عقائد اليهود هذه كلِّها، وتبينَ في النهاية أن ما كان اليهود يزعمونه بأن إيلِيَّا النبي نفسه سوف ينزل بجسمه العنصري من السماء، إنما كان يعني ظهور رجل آخر بطبيعة إيلِيَّا وأخلاقه. وهذا تأويل قد قام به المسيح عليه السلام نفسه الذي أنتم تُنزلونه من السماء ثانية، فلماذا تتعثرون فيما تعثر فيه اليهود من قبل؟ يوجد في بلادكم آلاف اليهود، فاسألوهم ألم تكن عقيدتهم كعقيدتكم التي تحملونها اليومَ؟ إن الله الذي لم يُنزل إيليا من السماء مِن أجل عيسى -حتى إنه عليه السلام اضطُرّ إلى هذه التأويلات أمام اليهود- فكيف يُنزل عيسى من أجلكم. الغريب أن الذي تستنزلونه ثانيةً ترفضون قراره

هو! وإن كنتم في شك مما قلنا فها هم النصارى موجودون في بلادكم بالملايين وها هو إنجيلهم، فاسألوهم: أليس حقًا أن عيسى عليه السلام إنما قال لهم إن إيلِيًّا المزمع نزوله ثانيةً هو يوحنا.. أي يحيى؟ وهكذا وبكلمة واحدة خيّب عليه السلام آمال اليهود القديمة كلها. فلو كان نزول عيسى النبي نفسه من السماء **ضروريًا**، فإنه لا يبقى نبيًا صادقًا، لأنه إذا كان الرجوع من السماء من سنة الله، فلماذا لم يرجع إيلِيًّا النبي؟ ولماذا لجأ المسيح عليه السلام إلى التأويل إذ قال إن يحيى هو إيلِيًّا؟ فليتدبرْ هُنا أولو الألباب.

لا إكراه في الدين

هذا، وإنّ المهمة التي مِن أجلها سينزل المسيح ابن مريم من السماء بحسب عقيدتكم -أي محاربة الناس بمعية المهدي لإجبارهم على اعتناق الإسلام- لعقيدةٌ مسيئة إلى الإسلام. أين ورد في القرآن المجيد أن الإكراه في الدين جائز؟ كلا، بل يقول الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿لا إكراهَ في الدين﴾.. أي لا إجبار ولا قسر في الدين. فمِن أين خُوِّل للمسيح الإكراهُ بحيث لن يرضى بشيء دون الإسلام أو القتل، حتى إنه لن يقبل الجزية أيضا؟ في أيّ موضع وأيّ جزء وأيّ سورة من القرآن

ورد هذا التعليم[٥٤]؟ إن القرآن كله يعلن مرة بعد أخرى أن لا إكراهَ في الدين، ويبيّن جليًّا أن الحروب في عهد النبي ﷺ لم تكن لنشر الدين قسرًا، بل كانت لسببين: إما عقابًا للذين قتلوا كثيرًا من المسلمين وأخرجوا بعضهم من وطنهم وظلموهم ظلمًا كبيرًا، كما يقول الله تعالى: ﴿أُذِن لِلذين يُقاتَلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصْرهم لقدير﴾[٥٥]؛ أي يؤذن للمسلمين الذين يحاربهم الكفار بالردّ على عدوانهم لكونهم مظلومين، وإن الله قادر على أن ينصرهم؛ أو كانت تلك الحروب دفاعية، أي كانت تُشنّ ضد أولئك الذين كانوا يهاجمون المسلمين للقضاء على الإسلام، أو كانوا يمنعون قسرًا انتشار الإسلام في بلادهم، فحاربهم المسلمون دفاعًا عن النفس، أو لإرساء الحرية في البلاد. وبدون هذه الأسباب الثلاثة لم يَشُنَّ النبي ﷺ ولا خلفاؤه الأطهار أي حرب مطلقا، بل الحق أن الإسلام نفسه تعرّض لظلم

---

[٥٤]: ولو قيل إن جعْل العرب مسلمين عنوةً كان جائزًا، فهو زعمٌ لا يثبُت من القرآن المجيد مطلقا، إنما يثبت من القرآن أن العرب كلهم كانوا قد آذوا النبي ﷺ إيذاء شديدا، وقتلوا كثيرا من الرجال والنساء من أصحابه، وأخرجوا مَن نجوا مِن سيوفهم مِن أوطانهم، لذا فكل أولئك الذين ارتكبوا منهم جريمة القتل أو أعانوا عليها كانوا يستحقّون القتل بالقتل عند الله، وكان القتل قصاصًا هو الحكم الأساس فيهم، ولكن الله أرحم الراحمين خفّف عنهم وقال إن من اعتنق منهم الإسلام فسوف يعفى له جرمه الذي استوجب به الإعدامَ. فشتان بين هذه الرحمة والإكراه! منه

[٥٥] الحج: ٤٠

الآخرين بما لا مثيل له بين الأمم. وما دام الأمر كذلك فكيف يكـــون عيسى المسيح هذا والمهدي صادقين، إذ يبدآن بقتل الناس بُعيْد ظهورهما حتى لن يقبلا مِن أيِّ كتابيٍّ الجزيةَ وينسخان قول الله تعـــالى: ﴿حَتَّـــى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٥٦]. كيف يُعَدّانِ مِن حماة الإسلام مع أنهما لا يلبثان إلاّ وينسخان حتى تلك الآيـــات القرآنيـــة الـــتي لم تُـــنْسخ أيامَ النبي ﷺ أيضًا؟ أبَعْدَ هذا الانقلاب العظيم كله لن يحـــدث أيّ خلل في "ختم النبوّة"؟!

كان يجدر بالمسيح الصادق -في زمن قد مضى فيه على عهد النبـــوة ألف وثلاثمائة سنة، وافترقت أمة الإسلام من داخلها على ثلاث وسبعين فرقة- أن يفتح القلوب بالدلائل لا بالـــسيف، وأن يكـــسر العقيـــدة الصليبية ببرهان يقيني قاطع، لا أن يبدأ في كسر الصلبان المصنوعة مـــن فضّةٍ أو ذهبٍ أو نحاسٍ أو خشبٍ. إذا لجأتم إلى الإكراه كان إكراهكم دليلاً كافيا على أنكم لا تملكون برهانًا على صدقكم[٥٧]. فكلّ ســـفيهٍ

---

[٥٦] التوبة: ٢٩

[٥٧] يعترض عليَّ بعض الجَهَلة ومنهم صاحب "المنار" قائلاً: إن هذا الرجل مقيم في بلد يحكمه الإنجليز ولذلك ينهى عن الجهاد. إن هؤلاء الجهال لا يدرون أنني لو كنت أبغي استرضاء هذه الحكومة بالكذب فما الذي دفعني إلى القول مرارا إن عيسى بن مريم كان قد نجا من الصليب ومات حتفَ أنفه في "سري نغر" بكشمير، وأنه لم يكن إلهًا ولا ابن إلهٍ؟ أفلا يتبرأ مني الإنجليز المتحمسون دينيًا بسبب قولي هذا؟ اسمعوا أيها الأغبياء، إني لا أداهن هذه الحكومة أبدًا، وإنما الواقع أن أية حكومة لا تعتدي على دين الإسلام، ولا على شعائره، ولا تشهِّر السيف في وجوهنا لنشر دينها، فإن القرآن

ظالمٍ إذا عجز عن تقديم برهان مدّ يدَه إلى السيف أو البندقية، ولكن الدين الذي لا يقدر على الانتشار إلا بقوة السيف لا يمكن أن يكون من عند الله أبدًا. فإن كنتم لا تستطيعون الكفّ عن مثل هذا الجهاد وتُسمّون الأبرار ملاحدة ودجالين من فورة غضبكم، فها إننا ننهي كلامنا بهاتين الجملتين: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[٥٨].

كَمْ من الفِرَق - يا ترى - سيحارب مسيحُكم ومهديُّكم الخياليّانِ بالسيفَ في زمن شقاق المسلمين وفُرقتهم؟ أليست الشيعة تستوجب سَلَّ السيف عليهم في رأي أهل السنة، ثم أليس أهل السنة يستحقّون أن يُمحَوا ويُبادوا عن بكرة أبيهم عند أهل الشيعة؟ فما دامت فِرَقُكم

الكريم يحرّم علينا أن نحاربها حربًا دينية، لأنها أيضا لا تحاربنا حربًا دينية. ثم إنه لَمِمّا يوجب علينا الشكر لهذه الحكومة أننا لا نستطيع أداء مهمّتنا هذه حتى في مكة والمدينة، لكنا نستطيع أداءها داخل هذه الدولة. وإنه لمن حكمة الله البالغة أنه خلَقني في هذه البلاد، فهل، يا ترى، أسيء إلى حكمة الله هذه!؟ وكما أن الله تعالى قد أخبرنا في قوله في القرآن: ﴿وآويناهما إلى ربوةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعينٍ﴾ (المؤمنون:٥١) أنه بعد أن نجّى عيسى المسيحَ من البلاء في حادثة الصليب آواه هوَ وأُمَّه إلى تلة مرتفعة كانت موضعَ قرارٍ وتجري فيها العيون -أي إلى جبال "سرينغر كشمير"- كذلك قد آواني الله إلى تلة مرتفعة لهذه الحكومة التي لا تنالها أيدي المفسدين، وهي موضع قرار حيث تجري في هذا البلد عيون العلوم الحقة ونتمتع بالأمن والقرار من هجمات المفسدين. أفلم يكن واجبًا علينا إذنْ أن نشكر هذه الحكومة على مِنَنها. منه

[٥٨] الكافرون:٣-٢

المختلفة نفسها مستوجبةً للعقاب بحسب معتقداتكم فكم منها ستجاهدون؟

اعلموا أن الله تعالى ليس بحاجة إلى السيف، وسينشر دِينه في الأرض بآيات سماوية ولن يقدر أحد على منعه. واعلموا أن **عيسى لن ينزل أبدًا** لأن الإقرار الذي سيقوم به يوم القيامة بحسب قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾[٥٩] يتضمن اعترافًا واضحًا منه أنه لن يعود إلى الدنيا ثانيةً، إذ ليس عذرُه يوم القيامة إلا قوله إنه لا يعلم عن ضلال النصارى بعده شيئًا. تُرى، لو أنه عليه السلام كان قد جاء إلى الدنيا ثانية، فهل سيجيب الله تعالى يومَ القيامة بأنه لا يعلم عن فساد المسيحيين شيئًا؟ فثبت من هنا أنه قد اعترف في هذه الآية صراحةً بأنه لم يأت إلى الدنيا مرة أخرى. لو كان سيأتي إلى الدنيا ثانية ويمكث فيها أربعين عاما متتالية قبل يوم القيامة، فقوله هذا يعني أنه سيكذب بين يدي الله تعالى حين يقول إنه لا يعلم شيئًا عن أحوال المسيحيين. مع أنه يجب في هذه الحالة أن يقول: لقد وجدتُ عند **بعثتي الثانية** قرابة أربع مئة مليون مسيحي في العالم، وقد رأيتُهم كلَّهم، وإني على علم بفسادهم، وإني أستحقُّ مكافأةً إذ جعلتُهم جميعًا مسلمين وكسَّرتُ الصلبان! أما أن يقول عليه السلام إنه لا يعرف عنهم شيئًا، فهو كذبٌ وزور!

[٥٩] المائدة:١١٨

باختصار، يعترف المسيح الطَّيْلاً في هذه الآية اعترافًا واضحًا أنه لـــن يعود إلى هذا العالم. الحق والحق أقول إن المسيح الطَّيْلاً قد مات[٦٠]، وقبره

[٦٠] لقد نشرتْ جريدة "**كريئردلاسيرا**" أشهرُ الجرائد في إيطاليا الجنوبية الخبرَ الغريب التالي: في ١٨٧٩/٧/١٣م مات في أورشليم راهب عجوز يسمى "كور"، وكان شهيرًا في حياته كأحد أولياء الله. لقد ترك وراءه عقارا، فبحث الحاكم عن أقربائه وسلّم إليهم ٢٠٠ ألف فرنك (١١٨٧٥٠ روبية)، وكانت نقودًا معدنية لمختلف البلاد، وعُثِرَ عليها في مغارة كان الراهب يسكنها من مدة طويلة. استلم الأقارب -إضافةً إلى النقود- بعض الوثائق التي لم يستطيعوا قراءتها، وسنحت لبعض خبراء اللغة العبرية فرصةُ الاطلاع عليها، فاكتشفوا أمرًا غريبا وهو أن هذه الوثائق كانت باللغة العبرية القديمة جدا، ولما قرأوها وجدوا فيها ما يلي:
"بطرس صيّاد السمك خادمُ يسوع ابن مريم يخاطب الناسَ باسم الله وبحسب رضوانه".
وتنتهي هذه الرسالة على النحو الآتي:
"لقد قررتُ أنا بطرس صيّاد السمك أن أكتب باسم المسيح وفي السنة التسعين من عمري كلماتِ الحب هذه في بيت بولير الواقع قرب بيت الله المقدس، بعد ثلاثة أعياد فصح (أي بعد ثلاث سنوات) من موت سيدي ومولاي يسوع المسيح ابن مريم."
لقد توصّلَ هؤلاء الخبراء إلى أن هذه الوثائق من زمن بطرس. وهذا ما يراه أيضًا مجمع الكتاب المقدس بلندن، وبعد فحصها جيدا يريد مجمع الكتاب المقدس الآن أن يشتري هذه الوثائق من أصحابها بأربع مائة ألف ليرة (٢٣٧٥٠٠ روبية).
دعاء يسوع بن مريم عليهما السلام. قال:"إلهي، لستُ لأكون غالبًا على أمرٍ أراه سيئًا، كما لم أتمكن من فعل تلك الحسنة التي كنت أودّ اكتسابها، بيد أن الآخرين يمسكون أجرهم بأيديهم، أما أنا فلا، إنما عظمتي في عملي. ليس هناك شخص أسوأ مني حالاً. أيها الإله الذي هو فوق كل أحد اغفرْ لي ذنوبي. ربّ، لا تجعلني موردا لطعن أعدائي، ولا تجعلـــني حقـــيرا في نظـــر أحبائي، ولا تجعل تقواي تجلب لي المصائب، ولا تجعل هذه الدنيا موضع سعادتي الكبرى أو هدفي الأول، ولا تسلِّطْ عليّ من لا يرحمني. يا ربي الرحيم ليكنْ هكذا مِن أجل رحمتك، فأنت تـــرحم كل مَن هو محتاج لرحمتك." منه

موجود في حارة "خان يار" بمدينة "ســـرينغر"[٦١]. **أمـــا الآن فـــسوف ينـــزل الله بنفسه،** وسيحارب بنفسه الذين يحاربون الحق. ولا اعتراض

[٦١] لقد صدَّق أحد اليهود أيضًا أن القبر الواقع في "سري نغر" قد أُعِدَّ على شاكلة قبور أنبياء اليهود.

شهد شاهد من بني إسرائيل

شهادة عالم التوراة من بني إسرائيل بخصوص قبر المسيح

מעודה אני ראיתי ציור קבר אצל מירזא

أشهد أنني قد رأيتُ عند سيادة الميرزا غلام

גולאם אחמד קאדיאני הקבר הזה מקברי

أحمد القادياني خريطة وأؤكد أن القبر الموجود فيها هو من قبور بني إسرائيل

בני ישראל והקבר זה מן קברי אכבר

وهو لأحد أكابر بني إسرائيل. لقد رأيت

בני ישראל. והיום ראיתי את הציור ואני כתבתי

هذه الخريطة وكتبت هذه الشهادة اليوم:

התעודה ב12 יון 1889 . שלמן יוסף יצחק ....

في ١٢/٦/١٨٩٩م وفق التقويم الإنجليزي (أي الميلادي). سلمان يوسف يسحاق التاجر

* שלמן יהודי ני מרי רוברו יה שהדת לכי

لقد كتب سلمان اليهودي هذه الشهادة بحضوري.

מופתי מוחמד צאדיק בירוי، כלרק דפתר אקונטנט לאהור.

مفتي محمد صادق البهيروي، الموظف في مكتب المحاسب العام بلاهور.

أشهد بالله أن هذا الكتاب كتبه سلمان بن يوسف وأنه رجل من أكابر بني إسرائيل.

توقيع: سيّد عبد الله البغدادي. ***منه***

....

* هذه ترجمة كلام حضرة مفتي محمد صادق ﷺ، وهي جملة باللغة الأردية ولكن بالأحرف العبرية. (المترجم)

على حرب الله لأنها تكون بالآيات البينات، أما حرب الإنسان فهي موضع طعن، لأن فيها إكراهًا للآخرين.

يا حسرة **على هؤلاء المشايخ!** لو كانت فيهم أمانة لسلكوا سبيل التقوى وراجعوني من أجل اطمئنانهم التام. لقد أنزل الله الطمأنينة على ذوي النفوس الطيبة، لكن المجبولين من طينة أبي جهل يتّبعون السبيل التي اتّبعها. فقد بعث لي شيخ من مدينة "**ميرهـ**" مكتوبًا مسجّلا يخبرني فيه أن اجتماعًا لِـ "**ندوة العلماء**" سيُعقد في مدينة "أمرتسر"، وطلب مني الحضور هنالك للحوار معهم.

فليكنْ واضحًا أن هؤلاء المناوئين لو كانوا صالحي النية ومتخلّين عن التفكير في الغلبة أو الهزيمة، لَما كانت بهم حاجة إلى "الندوة" وغيرها من أجل اطمئنانهم. إننا لا نرى فرْقًا بين علماء "الندوة" وعلماء "أمرتسر"، إذ لا يختلف بعضهم عن بعض عقيدةً وطبعًا وجوهرًا. والجميع مخير في أن يحضر **قاديان**، ويستمع إلى كلامنا لابتغاء الحق لا للمجادلة، فإذا بقي عنده شكٌّ فله أن يطلب بتواضع وأدب إزالةَ ما يخامره من شكوك، وسنعامله عندنا **ضيفًا** طول إقامته في قاديان. إننا في غنى عن "الندوة" وأمثالها ولسنا في حاجة إليها. إنهم جميعًا أعداء الحقِّ، ولكن الحقّ لا يزال ينتشر في أكناف العالم باطراد. أوليس مِن آيات الله العظيمة أنه أنبأني قبل اليوم بعشرين سنة بوحيه المسجّل في "البراهين الأحمدية" أن الناس سيسعون بكل ما أُوتوا من قوة لِيخيّبوك في مسعاك،

ولكنني سأجعلك جماعة كبيرة؟ لقد نزل عليَّ هذا الوحيُ حين لم يكن معي رجلٌ واحد. ثم بعد إعلان دعواي استنفد خصومي كل طاقاتهم ضدي، ومع ذلك انتشرت جماعتي وفقًا للنبوءة المذكورة أعلاه، وبلغ عددها حتى اليوم في الهند البريطانية وحدها مائة ألف أو يزيدون. فإن كان علماء "ندوة العلماء" لم ينسوا الموت فليراجعوا أنباء "البراهين الأحمدية" والوثائقَ الرسمية وليخبروا أهذا الأمر إعجاز أمْ لا؟ فما الداعي لإجراء الحوار بعد عرض بيان القرآن الكريم وهذا الإعجاز؟

حالة المتصوفة وأصحاب الزوايا

كذلك فإن مشايخ الطرق الصوفية وأصحاب الزوايا راغبون عن الدين ومنهمكون في بدعاتهم ليلَ نهارَ بحيث لا يدرون شيئًا عمّا حل بالإسلام من مصائب وآفات. لو حضرتَ مجالسهم لرأيتَ صنوفًا من أدوات الموسيقا من الرباب والقيثارات والدفوف والطنابر والمُطربين وغيرها من وسائل البدعة، بدلاً من القرآن المجيد وكتب الحديث، ومع ذلك يدّعون زعامة المسلمين واتّباعَ النبي ﷺ!! وبعضهم يلبسون ملابس النسوان، ويصبغون الأيدي بالحِنّاء، ويلبسون الأساور، ويفضّلون إنشاد الأبيات في مجالسهم على قراءة القرآن الكريم. إنها لعمري صنوف الصدأ القديم الذي لا يتصور المرء إزالته، ولكن الله سوف يُرينا تجليات قدرته ويحمي الإسلام.

نصائح للنساء

إن النساء في عصرنا هذا متورطات في بدعات معيَّنة، فإنهنّ ينظرن إلى مسألة تعدد الزوجات بكراهية شديدة كأنهن لا يؤمنّ بها. إنهن لا يدرين أن شريعة الله تحمل علاجًا لكل نوع من الأمراض، فلولا مسألة تعدّد الزوجات في الإسلام لما كان في شريعته حلٌّ لتلك الأحوال التي تَضْطرُّ الرجالَ أحيانًا إلى الزواج الثاني. فمثلا لو أصيبت المرأة بالجنون أو الجذام أو مرضت بمرض عُضال يجعلها غيرَ صالحة لأي عمل للأبد، أو تَعَرَّضتْ لعاهة أخرى تجعلها في حالة يُرثى لها ولا تصلح للنكاح، بينما يكون بعْلها في حالة تدعو إلى الإشفاق عليه حيث لا يستطيع الصبر على العزوبة، فسيكون من الظلم على قوى الرجل أن لا يُسمح له بالزواج الثاني. وحقيقة الأمر أن شريعة الله قد تركت هذه السبيل مفتوحة للرجال نظرًا إلى هذه الدواعي نفسها. كما أنّ السبيل مفتوحة للنساء أيضًا عند الضرورة؛ أعني أنه إذا كان الرجل لا يصلح لشيء فلهن أن يطلبن بواسطة القاضي الخلعَ الذي يقوم مقام الطلاق.

إن شريعة الله تماثل صيدليةَ الصيدلي، التي لن تزدهر أبدًا إن لم يكن فيها دواءٌ لكل داء. أفليس حقًا أن الرجال يتعرّضون أحيانًا لبعض المشاكل التي تضطرّهم إلى الزواج الثاني؟ ما نفْع الشريعة التي لا تعالج جميع المعضلات؟ لقد جعل الإنجيل **الطلاقَ** مشروطًا بالزنا فقط ولم

يذكر شتى الدواعي الأخرى للخصومة التي تجعل الــزوجين عــدوّينِ لدودين، لذلك فإن الأمة المسيحية لم تُطِقْ هذا العيب الموجود في شريعة الإنجيل، حتى اضطروا أخيرًا إلى سنّ قانون الطلاق في أميركا. فماذا بعد ذلك للإنجيل من تقدير بعد سنّ هذا القانون؟

فيا أيتها النساء! لا تَخَفْنَ، فإن الكتاب الذي أوتــيتنَّ لا يحتــاج إلى التصرفات البشرية كالإنجيل، بل إنه يحافظ على حقوق النّــساء مثــل حقوق الرجال. فإذا كانت المرأة مستاءة مِن بعلها على تعدّد زوجاته، فلها الخيار أن تطلب منه الخلع بواسطة القاضي. كان حقًّا على الله أن يذكر في شريعته جميع الحالات المحتملة الوقوع بين المسلمين، لكــي لا تكون شريعته ناقصة.

فأيتها النساء، يجب ألا تشتكين الله ﷻ إذا أراد بعــولتُكنَّ الــزواجَ الثاني، بل ادعُنَّ اللهَ أن يحفظكنَّ من الابتلاء والمصيبة. لا ريب أن الرجل الذي **يتزوج اثنتين** ثم لا يعاملهما بالعدل فهو ظلوم وجدير بالمؤاخذة، أما أنتنّ فلا تستجلبنَ غضب الله عليكن بارتكاب عصيانه. كل واحــد سيُسأل عن عمله. إن كنتنَّ صالحاتٍ عند الله فإن الله تعالى سيــصلح أزواجكنّ أيضًا. لا شك أن الشريعة قد أجازت تعدّد الزواج لمــصالح مختلفة، إلا أن ناموس القضاء والقدر مفتوح لكُنَّ، فإن كنتنّ لا تُطِقْــنَ قانون الشريعة، فانتفِعْنَ من ناموس القضاء والقدر من خلال الــدعاء، لأن ناموس القضاء والقدر يغلب قانونَ الشريعة أيضًا.

فاتّقينَ الله تعالى، ولا تُخلِدن إلى الحياة الدنيا وزينتها. ولا تفتخـــرن بقومكن. ولا تسخَرْنَ من امرأة أخرى. ولا تطالبْن بعولتَكن بما يفـــوق طاقتهم. وابْذُلْنَ جهدكنّ كي تنـــزلْنَ في القبور معصوماتٍ عفيفات. لا تتكاسلن في أداء فرائض الله مثل الصلاة والزكاة وغيرهما. ولا تـــبرحْنَ طائعاتٍ لأزواجكنّ من الصميم وعن طيب النفس. إن شطرًا كبيرًا من كرامتهم في أيديكن، فابذلنَ جهدكن لأداء واجبكن نحوهم على أحسن وجه حتى تَكُنَّ عند الله في عداد الصالحات القانتات. لا تُـــسرفْن، ولا تبذِّرْن أموال أزواجكن تبذيرًا، ولا تَخُنَّ ولا تسرقن، ولا تغتَبْ بعضكن بعضًا، ولا تأتين ببهتان على امرأة أو رجل.

الخاتمة

ليس الغرض من كل هذه المواعظ التي كتبناها إلا أن تزداد جماعتنا خشيةً لله تعالى لينالوا من قرب الله مكانةً تُجنِّبهم غضبَه المضطرم على وجه الأرض، ويُعصَموا خاصةً في هذه الأيام التي قد تفشّى فيها الطاعون. إن التقوى الحقّة -**ويا حسرة ما أقلَّ التقوى الحقَّةَ!**- تُرضي اللهَ تعالى، فالله ﷻ لا يحمي المتقيَّ الكاملَ من البلاء حمايةً عادية، بل حمايةً إعجازية. كلٌّ محتالٍ أو غبيّ يدَّعي الاتّقاء، **ولكن ليس التقيّ** إلا مَن ثبتت تقواه بآية من الله تعالى. وكل إنسان يمكن أن يقول إني أحبُّ الله، ولكن لا يحبّ اللهَ إلا الذي ثبتتْ محبّتُه بشهادة سماوية. والجميع يدَّعي أن دينه حقٌّ، ولكن ليس على الدين الحق إلا الذي يوهب له **النور** في هذه الدنيا. وكلٌّ يزعم أنه سينال **النجاة**، ولكن ليس الصادق في هذا القول إلا من يرى أنوار النجاة في هذه الدنيا. لذا فاسعوا جاهدين لتكونوا من **أحبّاء الله**، لتُعصَموا من كل آفة. إن التقيّ الكامل سيُحفَظُ من الطاعون لأنه في **ملاذ الله**، فكونوا من المتّقين الكاملين**!** لقد سمعتم ما قال الله تعالى بشأن الطاعون، إنه نارُ غضب، فقُوا أنفسكم تلكم النارَ. إن الذي يطيعني بصدق وإخلاص، بريئًا من كل خيانة وكسل وغفلة، ولا يخلط السيئة والحسنة، فإنه سيُعصَم. أما الذي هو بطيء الخطى في هذه السبيل، ولا يسلك سبل التقوى كما ينبغي، أو

يتكالب على الدنيا، فإنه يلقي نفسه في الامتحان. فأطيعوا الله طاعة كاملة.

كل من يَعُدُّ نفسه من المبايعين، فعنده الآن فرصة لخدمة هذه الجماعة بماله أيضًا. فمن كان يستطيع التبرع بقرش فعليه أن يلتزم بدفع قرشٍ كل شهر تغطيةً لنفقات هذه الجماعة، ومَن كان يطيق دفْعَ درهم فعليه أن يتبرع بدرهم شهريا، لأن الأنشطة المختلفة لخدمة الدين تقتضي نفقات كثيرة، هذا بالإضافة إلى نفقات الضيافة. يأتينا مئات الضيوف ولكن بسبب عدم السعة لم يتوفر لهم المبيت المريح، ولا يزال لدينا نقص في الأَسِرّة. ثم هناك حاجة ماسّة لتوسيع المسجد، كما لا يزال أمر التأليف والنشر ضعيفًا جدًّا إزاء جهود المخالفين؛ فبينما ينشر المسيحيون خمسين ألفًا من المجلات والنشرات الدينية، فإننا لا نقدر على نشر حتى ألف بانتظام شهريا. فهذه هي الأمور التي يجب على كل مبايع أن يتبرع من أجلها بقدر طاقته، ليكون الله في عونه. لو وصلت معونتُهم كل شهر بلا انقطاع فإنها -وإنْ كانت زهيدة- خير من المعونة التي تتم بعد نسيانٍ طويلٍ نتيجة خاطر يخطر ببال. إن صدق كل إنسان يُعرَف بخدمته.

أيها الأعزّة، هذا أوانُ خدمة الدين وتحقيق مقاصده، **فاغتنِموا هذه الفرصة فإنها لن تعود بعدها أبدًا**. يجب على صاحب النصاب أن يرسل إلينا أموال زكاته. ولْيجتنبْ كل منكم الإسراف، ولْينفقْ مالَه في هذا

السبيل، ولْيؤكد صدقه في كل حال لينال إنعام الفضل **وروح القدس،** لأن **هذا الإنعام** قد أُعِدَّ للذين قد دخلوا هذه الجماعة. إن التجلي الذي نزل به روح القدس على **نبينا محمد** ﷺ هو أعظم من كل تجلٍّ سواه. لقد ظهر روح القدس لبعض النبيين على هيئة حمامة، ولبعضهم على صورة **بقرة،** ولبعضهم على شكل **حوت أو تمساح،** ولم يأت وقتُ تمثُّله على هيئة بشر **ما لم يُبعثْ الإنسانُ الكاملُ.. أعني نبيّنا** ﷺ؛ فلمَّا بُعث هو تجلَّى عليه روح القدس على هيئة إنسان لكونه ﷺ إنسانًا كاملاً. لقد تجلّى روح القدس على نبينا ﷺ في غاية القوة حتى ملأ **الآفاق** من الأرض إلى السماء، ولذلك بقي تعليم القرآن محفوظًا من شوائب **الشرك،** بينما تجلى روح القدس على **إمام** الديانة المسيحية على شكل كائن **ضعيف** جدًّا أعني **حمامة،** لذا صار الروح الخبيث، أعني الشيطان، **غالبًا على هذه الديانة،** فدلّ على عظمته وقوته أنْ هَجَمَ هجمةَ **ثعبانٍ** عظيم، ولهذا السبب قد عدّ القرآن المجيد ضلال المسيحية أكبر ضلالات الدنيا كافَّة، وقال تكاد السماوات والأرض يتفطرن ويتمزقن إذ اقتُرِف على الأرض إثم كبير حيث **اتخذوا الإنسان إلهًا وابنَ إله.** لقد جاءَ ذكرُ المسيحيين والردُّ عليهم في أوائل القرآن كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ و﴿ولا الضَّالِّينَ﴾، وكذلك قد جاء الردُّ عليهم في آخر القرآن أيضًا كما يفهم من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

* اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٦٢]، كما ذُكرتْ فتنةُ المسيحية في وسط القرآن أيضًا كما يفهم من قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾[٦٣]. ويتضح من القرآن الكريم أن مثل هذه المبالغة في عبادة المخلوق وأساليب الدجل لم تحصل قط منذ خلق الدنيا، ومن أجل ذلك لم تُوجَّه دعوة المباهلة إلا إلى النصارى وحدهم من بين جميع المشركين.

أما سرُّ تمثُّلِ روح القدس في أشكال الطيور أو البهائم قبل البعثة المحمدية، فيمكن أن يفهمه كل فهيم بنفسه، غير أننا نكتفي هنا بالقول: لقد كانت فيه إشارة إلى عظمةِ إنسانيةِ نبيِّنا ﷺ إذ جذبتْ روحَ القدس أيضًا إلى الإنسانية. **فلماذا إذنْ تفقدون الهمة وأنتم أتباعُ هذا النبيِّ المختار؟** اضربوا تلك الأمثلة الرائعة من الصدق والصفاء ما يجعل الملائكة في السماء ينبهرون ويصلُّون عليكم. اختاروا موتًا لتنالوا حياة، وتخلَّوا عن ثوائر النفس ليَحلَّ الله فيكم. اقطعوا صلتكم مِن طرفٍ كليةً، وصِلوا بطرفٍ آخر بقوة كاملة. **كان الله في عونكم.**

والآن أنهي قولي هذا، داعيًا المولى أن ينفعكم تعليمي هذا، وأن يحدُث فيكم تطوّرٌ تصيرون به نجوم الأرض، وتشرق الأرضُ بنوركم الذي تتلقونه من ربكم. آمين ثم آمين.

---

[٦٢] الإخلاص: ٢-٤

[٦٣] مريم: ٩١

يا عباد الله، أذكّركم بأيام الله، وأذكّركم بتقوى الله. إنه من يـــأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، فلا تُخلِـــدوا إلى زينـــة الدنيا وزُورها، واتقوا الله، واستعينوا بالصبر والصلاة. إن الله وملائكته يصلّون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارِكْ وسلِّمْ.

نبوءة تفشِّي الطاعون في قصيدة [٦٤]

لا جرم أن إراءة الآيات ليس بمقدور أحد، غير أنني أُريكم آية مـــن آيات ربي

وهي أن ذلك السعيد الذي يدخل ويلوذ بداري سينجو من الطاعون

وأُقسِمُ بربي العظيم أن كل ما أقوله إنما هو من وحيه المقدس

فأيُّ حاجة لمن اسودّ قلبه بإنكاري إلى أي جدال بعده، فإنّ هذا الأمر يجب أن يكفيه

فإنْ لم يتحقق كل ما أعد به فيحقّ للجميع أن يهبّوا لمحاربتي.

[٦٤] هذه القصيدة بالفارسية وأوردنا هنا ترجمتها. (من المترجم)

دعوة للتبرع من أجل توسيع الدار

لما كان هناك خطر كبير لتفشّي الطاعون في البلاد مستقبلاً، ولما كانت دارنا جِدُّ مكتظّةٍ بالضيوف الذين يقيمون فيها -الرجال في قسمٍ منها والنساء في قسمٍ آخر- وقد سمعتم أن الله جلّ شأنه قد وعد المقيمين بين جدران داري هذه بحماية خاصة، ولما كان شركاؤنا في الدار التي هي مِلْك المرحوم السيد غلام حيدر، والتي لنا نصيب فيها، قد رضوا بردّ نصيبنا منها إلينا وبيعِ نصيبهم لنا -وأرى أن تجهيز هذه الدار بحيث تصبح جزءًا من دارنا ممكن بإنفاق نحو ألفي روبية- ولما كان هناك خطر بأن زمن تفشي الطاعون قد اقترب جدًا، وستكون هذه الدار بمنزلة سفينة في طوفان الطاعون هذا طبقًا للنبوءة الواردة في وحي الله تعالى، ولا ندري مَن هم أولئك الإخوة الذين سيكون لهم حظٌّ من تحقُّق هذه النبوءة؛ فإن هذا العمل عاجل جدًا، ويجب علينا السعي لإنجازه متوكلين على الله الذي هو خالقنا ورزاقنا ويرى الأعمال الصالحة. أرى أن دارنا هذه قد أصبحت فعلاً بمنزلة سفينة، غير أنه لم يبق فيها الآن مجال لإسكان رجل واحد أو امرأة واحدة، ولذلك فنحن مضطرّون لتوسيعها. والسلام على من اتبع الهدى.

المعلن

مرزا غلام أحمد القادياني

فهارس

سفينة نوح

*****

الآيات القرآنية

السور والآيات	الصفحة	رقم الآية
غافر		
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦١	٣٠ ح
الشورى		
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ... ﴾	٤١	٤٣
الحديد		
﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٣	٥٤
المجادلة		
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾	٢٢	١٣
الجمعة		
﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢	٤٦
الجن		
﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ... ﴾	٢٧ -٢٨	٨٩
التكوير		
﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾	٥	١٣
الكافرون		
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ... ﴾	٢, ٣	١٠٦
الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ ....ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٢-٥	١١٧ -١١٨

*****

الأحاديث النبوية

*****

إلهامات المسيح الموعود ؑ

الإلهامات العربية

الإلهامات الأردية

*****

المواضيع

الله ﷻ

الإسلام

الإنسان

الإنفاق في سبيل الله

أهل الحديث

التقوى

التوبة

التوكل

الثالوث

الجماعة الأحمدية

الحكمة

الحكومة الإنجليزية

الحلف

ختم النبوة

الخلع

الخمر

روح الصدق

روح القدس

الزكاة

السماء

الصّلاة

الصيام

الطاعون

الناموس

النبوءة / النبوءات

*****

الأسماء

*****

الأماكن

*****

الكتب

*****